

وآراؤه في العقيدة الإسلامية

الجزء الثالث في

نص رسائل الإمام رحمه الله

تقديم

الدكتور عناية الله إبلاغ
أستاذ العقيدة في كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية من جامعة الكويت

إعداد

محمد نور بن عبدالحفيظ سويد

الجزء الثالث[1]

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ. - ٢٠٠٠ م.

لأول مرة تطبع رسائل الإمام الخمس مجتمعة مع ملحقين

الناشر

دار إيلاغ للمعرفة والنشر العلمي -بشاور - الكويت هاتف: ٢٦٦٧٣٨٠-(٩٦٥)

دار ابن كثير -دمشق: ص.ب ٣١١ هاتف:٢٢٢٥٨٧٧- (٩٦٣١١)

بيروت: ص.ب ١١٣/٦٣١٨

---

[1]) كان الجزء الأول لشيخنا الدكتور عناية الله إيلاغ بعنوان: **(الإمام أبو حنيفة المتكلم)**، ثم كان الجزء الثاني له أيضاً بالعنوان نفسه، وقام بنشرهما المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -لجنة التعريف بالإسلام- في الأزهر بمصر، ثم قام شيخنا بجمع الجزأين السابقين في مجلد كبير (٦٧٠) صفحة بعنوان جديد: **(الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله وآراؤه في العقيدة الإسلامية)**، ونشرته دار الترجمة في الكويت عام ١٩٩٦، وطبع على الغلاف: جزآن معاً ١-٢، الطبعة الثالثة للجُزء الأول، والطبعة الثانية للجزء الثاني، مزيدة، ومصححة، ومنقحة.

وطريقة شيخنا في تأليفهما استعراض الفكرة الواحدة من كافة نصوص رسائل الإمام، ثم استعراض أقوال العلماء ومذاهبهم ومناقشتهم فيها، لذا جاء نشر نص الرسائل تتميماً وإضافة لما سبق.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة شيخنا الدكتور: عناية الله إبلاغ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه أجمعين، **وبعد:**

فإن الإمام أبا حنيفة رحمه الله ذو منزلة علمية في الأمة الإسلامية، بخدماته العلمية في العقائد والفقه، وانشغل آلاف من العلماء والنوابغ والمفكرين في تحقيق آرائه العقدية والفقهية، بحيث يحير العقول، ولا يشك أحد أن هذا الموقف؛ فضل من الله، وأنه أنعم على هذا العالم المحقق، والمفكر المدقق، نعمة العلم، والتحقيق والتدقيق، بعيداً عن العداء والأنانية؛ والرياء والسمعة، يصل إلى درجة القبول لدى أكثر المسلمين في العالم الإسلامي، طوال قرون عديدة.

تحقيق رسائله الكلامية:

الفقه الأكبر، الفقه الأبسط، العالم والمتعلم، ورسالته إلى أبي مسلم البتي، والوصية:

إن أهم ما يوضح الجانب الكلامي للإمام الأعظم مؤلفاته الكلامية بعد تحقيق إسنادها والتأكد من صحة نسبتها إلى الإمام إذ نعثر فيها على آراء الإمام الأعظم حول القضايا الكلامية بالإضافة إلى ما روى عنه من غير هذه الطرق. وقد شك في صحة نسبتها إلى الإمام وحاول معاندوه إن ينفوا نسبة هذه الرسائل إليه كما حاول أصحاب الفرق المختلفة إن يتسللوا في آراء أهل السنة والجماعة بتشويه أمر الرسائل.

١ - قال الإمام الحارثي في (الكشف الكبير):" روايات ابن المبارك بفضائل الإمام؛ ومسائله أكثر من أن توصف، لأنه سمع منه كتبه؛ بواسطة وبلا واسطة؛ **وذكر أن الإمام له رسائل كلامية.. "ا. هـ.**

٢ - وصرح أبو المظفر الإسفرايني بنسبة العالم والمتعلم، والفقه الأكبر، والوصية)، إلى الإمام الأعظم وإليك نص ما ذكره في كتابه: (التبصير في الدين) **إذ يقول:** "ومن أراد أن يحقق أن لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة (يشير إلى الفريقين الذي ذكرهما في كلامه) فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله في الكلام **وهو كتاب العالم.** وفيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة. وقد تكلم في شرح (اعتقاد المتكلمين)؛ وقرر أحسن طريقة في الرد على المخالفين بقوله: **"وكتاب الفقه الأكبر** الذي أخبرنا به الثقة؛ بطريق معتمد؛ وإسناد صحيح؛ عن نصير بن يحيى عن أبي مطيع عن أبي حنيفة. **وما جمعه أبو حنيفة في الوصية**؛ التي كتبها إلى أبي عمر؛ **وعثمان البتي**؛ ورد فيها على المبتدعين. ([1])

٢ - وقد صرح بعض مؤلفي كتب مناقب الإمام: إن المعتزلة ادعوا إن الإمام ليس له تأليف في علم الكلام وغرضهم من ذلك نفى أن يكون الفقه الأكبر وكتاب العالم والمتعلم له لأنه صرح فيهما بأكثر قواعد أهل السنة والجماعة ويقولون إن الإمام كان معتزلياً. وهذان الكتابان لأبى حنيفة البخاري.

وهذا غلط صريح، إذ نجد آراءه في هذه الرسائل؛ موافقة لمذهبه الكلامي الذي وصل من غير هذه الطرق، وليس فيه ما يدل على أنه ليس هذان الكتابان من مؤلفات الإمام.

٣ - ذكر مولانا شمس الملة والدين؛ والبراتقيني العمادي: **إن هذين الكتابين لأبي حنيفة؛ وقد تواطأ على ذلك جماعة كبيرة من المشايخ (٦) وقد عاتب المأمون من غسل كتب الإمام وزجره زجراً شديداً.** ([2])

٤ - وإمام الهدى أبو منصور الماتريدي رحمه الله بنى (توضيح الدلائل) التي

---

[1]) التبصير في الدين تأليف أبي مظفر الاسفرائيني المتوفى سنة ٤٧١ - ص ١١٣

[2]) المناقب للكردري طبع حيدر آباد - الهند - ١ / ١٠٨

ساقها في البحث؛ حول القضايا الكلامية؛ على مسائل تلك الرسائل. وهذا يدل على أنه حققها، وكانت عنده الثقة، بصحة نسبتها إلى الإمام، كما لا يخفى على متتبع مؤلفاته.

٥ - كما جرى على ذلك النمط؛ **الإمام المجتهد أبو جعفر الطحاوي في كتابه (بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن)** المعروف بعقيدة الطحاوية.

٦ - وإذ نقارن آراءه في الرسائل المطبوعة والمخطوطة، بآرائه الكلامية الواردة من غير طريق هذه الرسائل، نجد توافقاً كاملاً بين هاتين. ولا يكاد ينكر أحد أن هذه الرسائل منسوبة إلى الإمام.

٧ - كما أن إسناد الرسائل برجاله الثقات؛ أقوى دليل؛ على أنها مؤلفات الإمام الأعظم لا من مؤلفات أبي حنيفة البخاري أو غيره.

وإليك شيئاً من التحقيق في هذه الرسائل على النحو التالي:

أولاً - رسالة الفقه الأكبر.

ثانياً - رسالة الفقه الأبسط.

ثالثاً - رسالة العالم والمتعلم.

رابعاً - رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتّي عالم البصرة.

خامساً - رسالة الوصية.

سادساً - ملحق مبحث الإيمان برواية أبي حنيفة النعمان.

****

أولاً - تحقيق رسالة الفقه الأكبر

رسالة تشتمل على تحقيق القضايا الكلامية؛ بعبارة وجيزة ومفيدة، أوله: "أصل التوحيد؛ وما يصح الاعتقاد عليه؛ يجب أن يقول:

آمنت بالله؛ وملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ والبعث بعد الموت؛ والقدر خيره وشره من الله تعالى. **وقد حقق بعض المؤلفين أن هذه الرسالة من مؤلفات الإمام منهم:**

١ - الإمام عبد القادر البغدادي الشافعي فإنه صرح في كتابه (أصول الدين- ص ٣٠٨) بقوله: وأول متكلميهم من الفقهاء، وأرباب المذاهب أبو حنيفة والشافعي.. فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القدرية **سماه الفقه الأكبر** وله رسالة أملاها في نصرة قول أهل السنة: إن الاستطاعة مع الفعل، ولكنه قال: إنها لا تصلح للضدين.

٢ - ومنهم الإمام الأصولي الحنفي **فخر الإسلام البزدوي** (المتوفى: ٤٨٢هـ) في مقدمة كتابه القيم (**كشف الأسرار**) فقال: (وقد صنف أبو حنيفة رضي الله عنه في ذلك كتاب "**الفقه الأكبر** "وذكر فيه: إثبات الصفات؛ وإثبات تقدير الخير والشر من الله؛ وأن ذلك كله بمشيئته، وأثبت الاستطاعة مع الفعل، وأن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى إياها كلها، وردّ القول بالأصلح.

وصنف كتاب "**العالم والمتعلم** "وكتاب "**الرسالة** "، وقال فيه: (لا يكفّر أحد بذنب، ولا يخرج من الإيمان؛ ويُتَرَحَّمُ عليه). وقد تابعه في الشرح **الإمام علاء الدين عبد العزيز البخاري** (ت: ٧٣٠ هـ)؛ ونسب الرسالتين للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

٣ - ومنهم أبو المؤيد الموفق المكي (ت: ٥٦٨ هـ).

٤ - ومنهم الإمام حافظ الدين المعروف بـ الكردري (ت: ٨٢٧ هـ).

٥ - ومنهم الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد المعروف ب حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠ هـ) في مقدمة كتابه في الأصول: (**كشف الأسرار شرح المنار**) فقال: (وقد صنف أبو حنيفة رحمه الله في ذلك كتاب "**الفقه الأكبر** "، واختيرت هذه

التسمية لأن شرف العلم بقدر شرف المعلوم، وصنف كتاب "**العالم والمتعلم** "؛ وكتاب "**الرسالة**").

وغيرهم من المؤلفين الذين يعتمد عليهم، وقد توجه إلى هذه الرسالة بعض الشراح، وبينوا حكم الإمام في قضاياه الكلامية؛ التي تحتاج إلى التوضيح.

سند رسالة الفقه الأكبر:

نجد بين النسخ المطبوعة والمخطوطة؛ لهذه الرسائل شيئاً من الاختلاف؛ في السند والمتن، ونعتمد على نسخة يكون سندها أقوى:

١ - كالنسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة رقم ٢٢٦ بمكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة (زادها الله تكريماً وتشريفاً)؛ ففي أولها سند الشيخ إبراهيم الكوراني؛ في الكتاب إلى علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الرازي) عن عصام بن يوسف عن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه.

٢ - والنسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة رقم (٣٤١٩٧) بمكتبة الأزهر الشريف.

٣ - والنسخة المطبوعة بعنوان (العالم والمتعلم) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (٢٤٢٠٥) والنسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية فيها هذه النسخ؛ تعتبر كأصل يعتمد عليها، وما من الاختلاف القليل إلا في السند؛ بين النسخة المحفوظة في الأزهر والنسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية فهذا لا يقدح في طبيعة أصل السند إذ يظهر أن الاختلاف ليس في أصل السند؛ بل حدث بتصرف قلم الناسخين.

٤ - **وإليك سند الفقه الأكبر المحفوظ بمكتبة الأزهر:** روى الشيخ الإمام أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي عن الإمام قوام الدين محمد بن محمد الكاكي البخاري

عن الإمام علاء الدين عبد العزيز بن محمد البخاري عن الإمام حافظ الدين محمد بن محمد البخاري عن الإمام شمس الأئمة محمد بن محمد عبد الستار الكردي عن الإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الرشداني المرغيناني عن الإمام ضياء الدين محمد بن الحسين النوسوخي عن الإمام علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي عن الإمام سيف الحق أبي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي عن الإمام عبد الله الفضل حسين بن الحسين الكاشغري عن الإمام أبي مالك نصران بن نصر الحنبلي عن الإمام أبي الحسن علي بن الحسين الغزالي عن الإمام أبي الحسين علي بن أحمد الفارسي عن الإمام الفقيه نصير بن يحيى البلخي عن الإمام مقاتل بن ختيان البلخي وعن الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي رضي الله عنهم بأنه قال الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفي.

٥ – وأما سنده في النسخة المحفوظة في دار الكتب المصرية؛ فيوافق السند المذكور في الرسالة المحفوظة بمكتبة الأزهر؛ مع شيء من الفرق وهو: (عن الإمام ضياء الدين محمد بن الحسين البرسوخي الفرغاني البدشيجي) بدلاً من: (عن الإمام ضياء الدين، محمد بن الحسين النوسوخي) هذا هو الاختلاف في السند.

وأما الاختلاف في المتن؛ فنجد في بعض النسخ؛ كلمات تخالف ما عليه النسخ الأخرى؛ مثلاً نجد في بعضها: **وأبَوَا النبي صلى الله عليه وسلم ماتا على الفطرة،** وفي بعضها: **ما ماتا على الكفر** وفي بعضها ماتا على الكفر **وذكر العلامة الكوثري – رحمه الله–:** إن (الفطرة) سهلة التحريف إلى (الكفر) في الخط الكوفي ومن الاحتمال الغالب تحريف نسخة: (ماتا على الفطرة) إلى (ماتا على الكفر)، وكأن الإمام الأعظم يريد به الرد على من يروي حديث: أبي وأبوك في النار[1]، ووجه

---

[1]) رواه مسلم في صحيحه، وانظر مناقشة الحديث للسيوطي في كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للصالحي الدمشقي الجزء الأول، وكذلك كتاب شرح المواهب اللدنية) للزرقاني الجزء الأول كلاهما طبع دار الكتب العلمية.

الرد: إن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني، وهـذا الموضوع ليس بموضوع عملي؛ حتى يكتفى فيه بالدليل الظني فما يعتقد في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهما في النار لا يتكئ على دليل يقيني.

ونستدل بما ذكره **الحافظ محمد مرتضى الزبيدي شارح الإحياء والقاموس في رسالته: (الانتصار لوالدي النبي المختار) معناه:** إن الناسخ لما رأى تكرر **(ما)** في **(ما ماتا)**؛ ظن أن إحداهما زائدة، فحذفها فذاعت تلك النسخة الخاطئة. والدليل على ذلك سياق الخبر: لأن أبا طالب؛ وأبويه، لو كانوا جميعاً على حالة واحدة؛ لكان يجمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة؛ لا بجملتين، مع عدم التخالف بينهم في الحكم على هذا التوجيه، وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي رحمه الله.

وذكر العلامة الكوثري بأنه رأى النسخة التي فيها **(ما ماتا)** في نسختين بدار الكتب المصرية، **وقد راجعتهما أنا فوجدتهما كما ذكر الكوثري رحمه الله.**

وقد ذكر الكوثري في تحقيقه على رسائل أبي حنيفة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٢٤٢٠٥) بأنه: توجد نسخ مخطوطة منها في **مكتبة (الفاتح) بالآستانة..** .

ومما يجب توضيحه أن الفقه الأكبر اسم لرسالتي الإمام:

الأولى: رسالته **(الفقه الأكبر) برواية حماد** بن أبي حنيفة عن أبيه.

والثانية: رسالته الفقه الأكبر برواية أبي مطيع عن أبي حنيفة، وقد اشتهرت روايته الأخيرة، وهي **رواية** أبي **مطيع بـ: (الفقه الأبسط)**؛ تمييزاً له عن رواية حماد بن أبي حنيفة، وقد طبع الفقه الأكبر رواية أبي مطيع في الهند ومصر، وعليها شروح كثيرة.

وبعض المؤلفين زعموا أن (الفقه الأكبر) والرد على القدرية رسالتان مستقلتان منهم:

١ - الأستاذ أبو زهرة - رحمه الله - إذ ذكر في كتابه (أبو حنيفة) بقولـــه:
"وقد وصلت إلينا هذه الآراء (يريد الآراء الكلامية للإمام الأعظم) عن طريقين:

أحدهم: عن طريق أحد روايات متناثرة؛ قوية وضعيفة؛ ويمكن تمييز ضعيفـــها من قويها.

وثانيهما: بعض كتب منسوبة إليه، وأولها كتاب (الفقه الأكبر)، وقد جــــاء فـــي (الفهرست) لابن النديم: إن أبا حنيفة له أربع كتب وهي: "كتاب الفقه الأكبر؛ والعالم والمتعلم؛ ورسالة إلى عثمان بن مسلم البتِّي؛ وهي في الإيمان وارتباطــــه بـــالعمل؛ وكتاب الرد على القدرية "وكلها في علم الكلام والعقائد. ". ا. هـــ كلام أبي زهرة.

ولم يتعرض للفقه الأبسط ويمكن القول: إن ابن النديم أراد من الفقه الأكبر؛ الفقه الأبسط، ومن الرد على القدرية؛ الفقه الأكبر؛ ولم يتعرض الأستاذ أبو زهـــرة إلـــى هذا؛ وكان الواجب عليه التوضيح، وما ساقه عليه بعد ذلك؛ يدل على أن الشيخ تأكد بأن الرد على القدرية كتاب مستقل، وليس هو مايسمى بالفقــــه الأكـــبر إذ يقـــول- والكلام لأبي زهرة-:

"وقد نال العناية من المتقدمين من بين هذه الكتب الفقه الأكـــبر؛ وهـــو رســـالة صغيرة؛ طبعت وحدها في بضع ورقات؛ في حيدر أباد بالهند وله **<u>عدة روايات:</u>**

- منها رواية حماد بن أبي حنيفة، وقد شرحها علي القارى.

- ورواية أبي مطيع البلخي؛ وهي معروفة بالفقه الأوسط (الأصل الأبسط ويمكن أن يكون الأوسط بدلاً عن الأبسط غلطاً مطبعياً لا من اشتباهات الشيخ) شرحها أبو الليث السمرقندي؛ وعطاء بن علي الجوزجاني.

- وهناك روايات وشروح أخرى:

- منها شرح منسوب إلى الإمام أبي منصور الماتريدي؛ ونسبة هذا الشرح إلـــى الماتريدي موضع نظر؛ لأنه يحتج على الأشعرية؛ ويحتج لهم، وذلك يشير بلا ريب إلى أنه متأخر عن أبي الحسن الأشعري مع أنـــهما فـــي الحقيقـــة متعـــاصران، إذ

الماتريدي توفي سنة ٣٣٢ هـ والأشعري توفي سنة ٣٣٣ هـ أو سنة ٣٣٤ هـ انتهى كلام الشيخ أبو زهرة رحمه الله.

ولم يتعرض الشيخ إلى أن (الفقه الأكبر) رواية حماد بن أبي حنيفة هو المعروف بالرد على القدرية، وقد ذكر **الإمام عبد القادر البغدادي الشافعي في (أصول الدين):** إن الرد على القدرية هو (الفقه الأكبر) كما أشرنا إليه.

٢ - وأيضاً صرح المؤرخ المعروف بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار: إن الفقه الأكبر معروف بالرد على القدرية. وقد شك في نسبة الفقه الأكبر إلى الإمام؛ لأنه ذكر فيها الجوهر والعرض، وأن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا بعد نقل الفلسفة إلى اللغة العربية، وذلك حدث بعد الإمام.

وقد أشرنا قبل ذلك إلى أنه **نقل بعض الاصطلاحات الإغريقية في عصر الإمام نقلاً شفوياً**، ومن الجائز أنه قد استخدم الإمام الأعظم؛ من هذا النقل الشفوي؛ كلمتي الجوهر والعرض؛ في رسالته؛ وذلك لا يدل على عدم صحة نسبتها إلى الإمام.

٣ - وما ذكره البعض بأن مسألة خوارق العادات؛ للأنبياء والكرامات للأولياء؛ ذكرت في هذه الرسالة، مع أن مسألة الكرامة والتفرقة بينهما وبين ما يجري على أيدي الكفار؛ لم تناقش في ذلك العصر، ولكنها كانت موضع بحث بين علماء الكلام، عندما وجد التصوف في الإسلام فخاض العلماء في أولياء الله الصالحين؛ وما يكرمهم الله وما يجري على أيديهم من الخوارق. [1]

وجوابنا عليه: إن عدم المناقشة حول هذه المشكلة؛ في عصر الإمام؛ لا يصير دليلاً على أن الإمام لم يتوجه إليها؛ إذ هذه المشكلة كمشكلة كلامية؛ تعد من أهم ما وجب على الإمام أن يتعرض لها؛ إذ لا نقول: إن جميع البحوث الكلامية المنسوبة

---

[1] (أبو حنيفة) تأليف الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦٨ .

إلى الإمام؛ تعد كرد فعل لما عليه الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة؛ وكحلول للمشاكل الراهنة، والأسئلة الواردة في ذلك العصر، إذ على هذا نعـرف أن الإمـام ليس له تخطيط لحلول المشاكل الآتية والمستقبلية، مع أننا نجد في آرائـه الفقهيـة والكلامية؛ حلولاً لمشاكل من منبعين أساسيين: القرآن والسنة؛ لا من حوادث بيئته، وما حدث من الضرورة البيئية؛ وتسبب في تحقيق الإمام وتعمقه؛ لا يدل علـى أن كل ابتكاراته وليدة للظروف الراهنة فحسب؛ وله آراء في المسائل التي حدثت فـي ذلك العصر ظهرت وترعرعت بعد قرون، إذ الإمام الأعظم قد استقى آراءه الفقهية والكلامية من القرآن والسنة، وليس له آراء كلامية بعيدة عن ظروف بيئته؛ التي تعد كحل لمشاكل لم تقع بعد.

ثانياً - تحقيق رسالة الفقه الأبسط:

وهو الفقه الأكبر رواية أبي مطيع، عرف بالفقه الأبسط؛ تمييزاً له عـن الفقـه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه.

ورواية أبي المطيع هو الحكم بن عبد الله البلخي صاحب أبي حنيفة حدث عـن ابن عون وهشام بن حسان عن أحمد بن نوح وخالد بن سالم الصفار وجماعة تفقـه به سالم وجماعة تفقه به أهل تلك الديار.

قال الذهبي: كان بصيراً بالرأي؛ علامة؛ كبير الشأن؛ ولكنه واه في ضبط الأثر؛ وكان ابن المبارك: يعظمه؛ ويبجله: لدينه؛ وعلمه.. . الخ.

وقد طال كلام النقلة فيه، يرمونه بالإرجاء والتجهم والرأي صرح به الكوثـري في تحقيقه على رسائل أبي حنيفة.

وقد شرح أبو الليث السمرقندي هذه الرسالة (الفقه الأكبر روايـة أبـي مطيـع المعروف بالفقه الأبسط) وأبو الليث هو المتوفى سنة ٣٧٣ هـ وقد نسب هذا الشرح سهواً إلى أبي المنصور الماتريدي مع ظهور أن الشرح ليس له، بمـا حـوى مـن

نقول؛ عن كثير ممن تأخر زمنه عن زمنه، وهو توفى سنة ٣٣٣ هـ في رواية قطب الدين الحلبي الحافظ.

ويوجد عدة نسخ من الشرح مخطوطة باسم الليث، محفوظة بدار الكتب المصرية راجع المجموعتين ٣٤٩ و ٣٩٣ ورقم ١٩٥ في علم الكلام.

سند رسالة الفقه الأبسط:

١ - روى الإمام أبو بكر محمد بن محمد الكاساني (هو مؤلف البدائع) عن أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي (هو مؤلف تحفة الفقهاء) قال: أخبرنا أبو المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي (مؤلف تبصرة الأدلة) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن علي الكاشغري الملقب بالفضل (له نحو مائة وعشرين مؤلفاً) قال: أخبرنا أبو مالك نصر بن نصر الختلي، عن علي بن الحسن بن محمد الغزال عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي حدثنا نصير بن يحيى الفقيه قال: سمعت أبا المطيع الحكم بن عبد الله البلخي (المتوفى سنة ١٩٩ هـ عن ٨٤ سنة وروى عنه محمد بن مقاتل وموسى بن نصر كذا ذكره ابن حجر) يقول: سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت عن الفقه الأكبر فقال: **أن لا تكفر من أهل القبلة بذنب** الخ كما هو في نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة تحت رقم (م ٤) و (م ٢١).

٢ - ومحفوظة بمكتبة الأزهر بعنوان (مجموع الرسائل في وصايا الإمام الأعظم) تحت رقم (٣٤٢٧٩).

٣ - وأما سند **شيخ الإسلام مصطفى عاشور** المتوفى سنة ١٣١٩ هـ فهكذا:

عن الحسين بن محمد بن الحسن الميمي البصري عن ابن طاهر بن إبراهيم الكوراني عن أبيه عن خير الدين الرملي عن محمد بن السراج عمر الحانوتي عن أبيه عن المحب محمد بن جرباش عن أبي الخير محمد ابن محمد الرومي عن أبي الفتح محمد الحريري عن أبيه عن القوام الأتقاني عن الحسين السغناقي عن محمد

بن نصر البخاري عن شمس الأئمة الكردري عن صاحب الهداية عن الضياء البرسوخي عن العلاء السمرقندي عن أبي الحسين النسفي عن الحسين بن علي الكاشغري عن نصران بن نصر الختلي عن علي بن الحسين بن محمد الغزال بن علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن أبي مطيع عن أبي حنيفة. رحمهم الله تعالى أجمعين([1]).

ثالثاً - تحقيق رسالة العالم والمتعلم:

رسالة يجيب فيها الإمام الأعظم عن أسئلة المتعلم؛ وهو أبو مقاتل حفص بن سلم السمرقندي.

ذكر أبو يعلى الخليلي في (الإرشاد): إن أبا مقاتل مشهور بالصدق؛ غير مخرج في الصحيح، وكان يفتي؛ وله في الفقه محل؛ وعني بجمع حديث خلف بن يحيى قاضي الري.

وذكر الكوثري: أنه طالت إياه ألسنة بعض النقلة عليه؛ كطول لسانهم على أبي حنيفة وأصحابه؛ متذرعين في ذلك برميهم إياه: بالرأي والإرجاء والتجهم ونحو ذلك، عمر كثيراً وعاش إلى أن مات سنة ثماني ومائتين (٢٠٨ هـ.) وما وقع في اللسان من سنة (٢٥٨ هـ.) في تاريخ وفاته سبق قلم وإقامة خمس مقام الصفر ([2])

سند رسالة العالم والمتعلم:

نجد السند لهذه الرسالة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية، والرسالة المحفوظة في مكتبة الأزهر تحت رقم ٣٤١٤٧ والنسخة المطبوعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٢٠٥ تطابقاً وليس بينها إلا فرق بسيط يعد من سبق القلم

---

[1]) راجع ٢٢٦ من مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

[2]) انظر تحقيق الكوثري رحمه الله على رسائل الإمام ص ٥

واليك سند هذه الرسالة:

قال أبو علي بن خليل الدمشقي المعروف بابن قاضي العسكر ([1]) أنبأنا أبو الحسن برهان الدين علي بن الحسين البلخي عن أبي الحسين ميمون بن محمد المكحول النسفي، عن أبيه عن عبد الكريم بن موسى البزدوي عن أبي محمد الماتريدي عن أبي بكر أحمد بن اسحق الجوزجاني ([2]) وعن محمد بن منصور مقاتل الرازي كلاهما عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ([3]) وعصام ابن يوسف البلخي وهما عن أبي مقاتل حفص سلم السمرقندي عن الإمام أبي حنيفة.

رابعاً – تحقيق رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي:

قال ابن قتيبة في (المعارف)([4]): عثمان البَتِّي (بفتح فتشديد) هو عثمان بن سليمان بن جرموز. وكان من أهل الكوفة فانتقل إلى البصرة وهو مولى لبني زهرة وكان يبيع البتوت (وهي الثياب الغليظة) فنسب إليها.

---

[1]) روى عنه الحافظ الشرف الدمياطي؛ وعنه الحافظ عبد القادر القرشي؛ وأسانيد أصحاب الإثبات المعروفة كذا حققه الكوثري.

[2]) جوزجان بلدة بأفغانستان

[3]) بلخ بلدة بأفغانستان؛ وهي المعروفة عند المؤرخين بأم البلاد. وهي الآن معروفة بمزار شريف؛ وفيها ضريح سيدنا علي رضي الله عنه بناء على كثير من الأقوال.

[4]) (المعارف) لابن قتيبة ص ٥٩٦ . أضبط أرقام الصفحات من كتاب شيخنا عبد الفتاح أبي غدة –رحمه الله–: (رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي) والتي منها هذه الرسالة كتبه: محمد نور عفا الله عنه.

وقال الذهبي (في الميزان)[1]: عثمان البَتِّي الفقيه هو أبو مسلم ثقة إمام وقيل: اسم أبيه أسلم، وقيل: سليمان.

وفي (المشتبه)[2]: فقيه البصرة زمَن أبي حنيفة؛ توفي بالبصرة قبل وفاة أبي حنيفة بسبع سنوات؛ وبينهما مكاتبات؛ لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً منها؛ غير هذه الرسالة.

وذكر الطحاوي في (اختلافات العلماء)؛ وأبو بكر الرازي (في مختصره)؛ وابن المنذر في (الإشراف): أن له انفرادات في الفقه.

سند رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البَتِّي:

روى الإمامُ حُسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج السُّغناقي[3] عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البُخاري، عن شمس الأئمة محمد بن عبد السَّتَّار الكَرْدَرِي، عن برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المَرْغِيناني، عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر اليَرْسُوخي، عن علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السَّمَرْقَنْدي، عن أبي المُعين ميمون بن محمد المَكْحُول النَّسَفِي، عن أبي زكريا يحيى بن مُطرف البَلْخي، عن أبي صالح بن الحسين السَّمَرْقَنْدي، عن أبي سعيد محمد بن أبي بكر البُستي، عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي، عن نصير بن يحيى الفقيه، عن أبي عبد الله محمد بن سَمَاعة التميمي، عن الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وعنهم أجمعين أنه قال: **بسم الله الرحمن الرحيم من أبي حنيفة إلى عثمان البتي**؛ سلامُ الله عليك.. فإني.

---

[1]) (ميزان الاعتدال) للذهبي ٣/٥٩-٦٠ مثل سابقه.

[2]) (تبصير المنتبه في تحرير المشتبه) ١/١٢٢ مثل سابقه.

[3]) أضبط الأسماء من كتاب شيخنا عبد الفتاح أبي غدة -رحمه الله-: (رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي) والتي منها هذه الرسالة (محمد نور عفا الله عنه).

والبَتّي هو الذي قال الإمام الأعظم بحقه: "**لو أدركني البَتّي لأخذ بكثير من قولي**"، **وقد صحف البَتّي إلى النبي**، ووقع أعداء الإمام فيه، بأنه قال لو أدركني رسول الله (بدلاً من النبي المحرف عن البَتّي) لأخذ الكثير من قولي.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٨٦/٤) أخبرنا ابن رزق أخبرنا ابن أحمد بن جعفر بن سالم حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا محجوب بن موسى قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أدركته لأخذ بكثير من قولي، وسمعت أبا إسحق يقول: كان أبو حنيفة يحدث الشيء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيخالفه إلى غيره.

وقد حقق العلامة الكوثري رحمه الله نقلاً عن هامش أصل كتاب الخطيب؛ المحفوظ بدار الكتب المصرية؛ تحت رقم (٦٠) بخط العلامة الفقيه محمد بن محمود الجزائري مفتي الإسكندرية: "إن هذا تحريف، وأصل الرواية هكذا: لو أدركني البَتّي ثم حرف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستبدل برسول الله رواية بالمعنى.

ومثل هذه التحريفات يقع في الكتب منها: ما ذكره الخطيب في سند حديث أصله هكذا.. (عن الله عز وجل) ثم حرف إلى (عن الله عن رجل) واستغرب الخطيب هذا، وقال: من هذا الرجل الذي يروي الله عنه، وأمثال هذا من التحريفات كثيرة.

ويمكن أن يكون أصل عبارة الإمام هكذا: "**إني لو أدركني النبي لأخذني بكثير من قولي** "ثم حذف المفعول.

وكان أبو حنيفة اعترف بأنه لا يصيب في جميع آرائه؛ بل يرى أنه توجد بين آرائه؛ آراء كثيرة يعاتبه الرسول صلى الله عليه وسلم عليها لو أدركها، وهذا القول على هذا التقدير، يدل على مبلغ ورعه (١)، ويؤيد التوجيه الأول؛ ما نقل عن الإمام

---

(١) تأنيب الخطيب ص ٧٦ للعلامة الكوثري رحمه الله .

في موضع آخر ذكر فيه جملة: **(لو أدركني البَتّي أو أدركته لأخذ بكثير من قولي)** وبعد ذلك يقول: **"هل الرأي إلا الرأي الحسن"**. فقد نقل خطيب البغدادي هذه الرواية في تاريخ بغداد [1] هكذا: "لو أدركني النبي أو أدركته لأخذ بكثير من قولي وهل الدين إلا الرأي الحسن ويمكن أن يكون هذا النقل لاعن قصد، بل وجده في الخط محرفاً لأن البَتّي سهل التحريف إلى النبي.

وأما الثاني فلأنه لاشك أن الدين فيه تصحيف، من لفظ (أرى) لأن الراء إذا حصل فيه تعويج يصير (لد) بسهولة في الخطوط القديمة وخط (ي) كثير التباس (ين) عند التجريد من النقط، كما هو الغالب في الخطوط القديمة، وذلك لظهور التقارب بينهما في الرسم، فبهذه الطريقة صحف لفظ (أرى) إلى (الدين)، وأصل العبارة كما ذكرناه هكذا:

(وهل أرى إلا الرأي الحسن) يدل عليه ما نقله يوسف بن خالد السمتي، أنه ذكر كيف كان يختلف إلى مجلس عالم البصر ة عثمان بن مسلم البتي، ثم كيف اتصل بأبي حنيفة، ثم قال: قال أبو حنيفة: "لو أدركني البَتّي لترك كثيراً".

ومن قول الإمام أبي حنيفة التالي نعرف مدى ورعه وزهده؛ وتمسكه بالشريعة؛ بأنه لا يمكن للإمام أن يتكلم بالكلام السابق؛ والذي لا يتكلم به إلا أشد الزنادقة، **ألا وهو شهرة قول الإمام الأعظم:**

" لعن الله من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ به أكرمنا الله؛ وبه استنقذنا. "[2]

ومما يجب توضيحه أنه ذكر **العلامة عبد الحي اللكنوي** في كتابه (الرفع

---

[1]) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٩٠

[2]) تأنيب الخطيب ص ٨٦ للعلامة الكوثري؛ ومناقب أبي حنيفة للمكي ١٠٢/٢ رحمهم الله تعالى.

والتكميل في الجرح والتعديل) عبارة (التمهيد) لعبد الشكور السالمي صاحب التمهيد([1])؛ نقلاً عن رسالة الإمام إلى أبي مسلم البتي؛ ما يدل على أن الإمام اعترف بكونه مرجئاً، وأن الرسالة تشتمل على تفصيل الإرجاء، وعلى اعتراف الإمام بهذا إذ يقول:

" روى عن عثمان أنه كتب إلى أبي حنيفة؛ وقال: أنتم مرجئة.

فأجابه بأن المرجئة على ضربين: مرجئة ملعونة وأنا بريء منهم؛ ومرجئة مرحومة وأنا منهم (انتهى)

ورجعت إلى الرسائل المخطوطة والمطبوعة، فما عثرت على هذه العبارة في رسالته إلى أبي مسلم البتي. ولا يحتمل أن تكون هذه العبارة موجودة في نسخة أصلية؛ ثم أسقطها الناسخ، إذ سوق عبارة الرسالة؛ من أولها إلى آخرها؛ شاهد عدل؛ على أن الإمام لا يريد إلا نفي هذا الاتهام عن نفسه؛ وبراءته منه.

وقد ذكر العلماء في تحقيق هذه الرسالة بقولهم ما يلي: رسالة أبي حنيفة إلى أبي مسلم البتي، رسالة في التبري مما يرمى به إلى الإرجاء.

إذا قطعنا النظر عن هذه الأقاويل والروايات، ودرسنا الرسالة نفسها، نطلع على حقيقة ما قصده الإمام في تأليفها، وكأنه تألم من نسبة الإرجاء إليه، فحقق الموضوع تحقيقاً علمياً.

وبعد هذا نقول: إن ما ذكره السالمي، مع براعته في العلم والتراجم؛ ومعرفة الرجال، ليس بسديد، ويحتمل أن السالمي اعتمد على بعض ما ذكره أعداء الإمام؛ كالخطيب البغدادي، ولم يرجع إلى أصل الرسالة، واكتفى بالنقل من كتبهم، وقد أشرنا سابقاً؛ أن بعض الناس قد طالت ألسنتهم على الإمام؛ ورموه بما لا يليق

---

[1]) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ص ١٦٠ تأليف المولوي عبد الحي اللكنوي رحمه الله

بشأنه؛ وذكروه باسم المبتدع؛ وما يماثله؛ ومن الممكن أن السالمي مع براعته بالعلم؛ اكتفى بأقوال بعض المؤلفين؛ ولم يتيسر له العثور على أصل الرسائل؛ حتى يطلع على محتوياتها، وليس ذلك ببعيد عن أمثال السالمي من المؤلفين، إذ كثير منهم يعتمدون على أقوال المؤلفين، ولا تسمح الظروف لهم؛ حتى يرجعوا إلى الأصل، فيكتفوا بالنقل.

من هؤلاء المؤلفين الذين اكتفوا بالنقل فحسب، **الشبلي النعماني**؛ فإنه ألف رسالة سماها **(سيرة النعمان)** وترجمه الكشككي إلى اللغة الفارسية، وطبع في كابُل، إذ يصرح فيه بآراء الإمام نقلاً من الناقلين؛ من غير أن يميز بين الصحيح وغيره، وهو يقر بأن الظروف لم تسمح له بالعثور على أصل رسائل الإمام، وذلك لأنه سرد المراجع التي اعتمد عليها في معرفة حياة الإمام وآرائه، وبعد ذلك يقول: إن هذه المراجع لا توجد في عصرنا هذا، وليس عندي إلا **(الخيرات الحسان؛ وعقود الجمان)** ([1]).

ومن المحتمل أن الشبلي اعتمد في تأليفه على أقوال بعض المؤلفين كالخطيب وأمثاله؛ الذين لا يعتمد عليهم في نقل آراء الإمام، **وذكر كذبهم كما جاء في: (مرآة الزمان) تأليف ابن الجوزي؛ و (السهم المصيب في كبد الخطيب) تأليف الملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي، وتأنيب الخطيب للعلامة الكوثري**، يقول الشبلي في فقرة أخرى عند ذكر مؤلفات الإمام:

(إن المعروف بين الناس نسبة الفقه الأكبر؛ والعالم والمتعلم إليه، ويضيف أنه لم يعثر على رسالة العالم والمتعلم ولم يتيسر له أن يجدها) ([2]) وبعد ذلك يقول في فقرة أخرى:

---

[1]) مقدمة الكشككي على سيرة النعمان تأليف شبلي النعماني طبع كابل صفحة ١٩ .

[2]) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(نحن نتأكد بعدم صحة نسبة تلك الرسائل إلى الإمام؛ لأن عصره لم يكن عصر تأليف وترتيب؛ بذلك الطريق الذي هو مشروح في الرسائل. ولم تنتقل الآراء الفلسفية في عصره مع أن الفقه الأكبر يشتمل على اصطلاحات الجوهر والعرض) ا.هـ.

ونجد في كلامه اضطراباً، إذ يعترف أولاً بعدم عثوره على العالم والمتعلم، وبعد ذلك يحكم على عدم صحة نسبته إليه، نظراً إلى نظمه الخاص من ناحية التاريخ؛ وعدم وجود هذا الترتيب في عصره!!.

ونحن نسأله: كيف حكمت على هذه الرسالة بأنها ليست من تأليف الإمام بشهادة نظمه وتأليفه؟! مع أنك تعترف بعدم عثورك على أصل الرسالة؟!.

وأيضاً لم يدرس عصر الإمام الذي بدأ فيه تدوين الآراء، وكأنه نظر إلى التدوين الذي وصل إلى أوجه، في القرن الرابع وبعده، مع أن التأليف كان في عصر الإمام موجوداً؛ بشكله البدائي، وكان من خصوصيات حلقة الإمام، أن تلامذته كانوا يكتبون آراءه الفقهية؛ كما يعترف به الشبلي أيضاً؛ وآراءه الكلامية، وأما بالنسبة إلى الاصطلاحات الفلسفية، فقد ذكرنا قبل ولا نعيده.

ويعتمد الشبلي في بحثه عن حياة الإمام؛ على الأقوال فقط، من غير أن يميز بين صحيحها وسقيمها، وهذا لا يليق بالباحث؛ الذي يدرس الإمام؛ المعروف بين المسلمين، وما من عالم محقق إلا وهو يعترف بشخصيته الفكرية والعلمية.

خامساً - تحقيق رسالة الوصية:

رسالة في سطور؛ ذكر فيها الإمام بعض القضايا الكلامية، وبدأ ببيان مذهبه في الإيمان؛ بأنه مركب من الإقرار والتصديق؛ وأشار بعده إلى عدة قضايا كلامية، ولم يذكر في هذه الرسالة أصل السند ولم نعثر على السند؛ لا في نسخ المخطوطة ولا المطبوعة، وابتدأت الرسالة بالحمد والصلاة؛ وسيق الكلام إلى بيان مذهبه الكلامي؛

في عدة قضايا اعتقادية، وإليك نص أول الرسالة:

(الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين هذا كتاب الوصية للإمام الأعظم رحمة الله عليه إمام الأئمة وهادي الأمة، كاشف الغمة، فريد وقته؛ وحيد عصره؛ موضع الطريقة، مظهر الحقيقة، حامي الشريعة؛ المجاهد على التحقيق: أبي حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه؛ وأرضاه على اعتقاده؛ ومذهب أهل السنة والجماعة:

لما مرض إمام المسلمين مرضاً شديداً، استجمع عنده أصحابه وتلاميذه، وقد اشتهوا منه الوصية؛ على طريق أهل السنة والجماعة؛ فأقرب خادمه حتى أجلسه؛ وجلس الخادم خلف ظهره؛ واستند إليه؛ ثم قال:

(اعلموا أصحابي وإخواني وفقكم الله تعالى، إن مذهب أهل السنة والجماعة؛ على اثني عشر خصلة. فمن كان منكم يستقيم على هذه الخصال؛ لا يكون مبتدعاً؛ ولا صاحب الهوى، فعليكم إخواني وأصحابي بهذه الخصال؛ حتى تكونوا بشفاعة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

أولها الإيمان، والإيمان هو إقرار باللسان؛ والتصديق بالجنان، أما الإقرار وحده لا يكون إيماناً.. إلى آخر ما قال..)

أتى الإمام في رسالته هذه بعدة قضايا كلامية؛ وصدر كل منها بقوله: (نقر) وهي في: تقدير الخير والشر، وتقسيم الأعمال إلى الفريضة والفضيلة والمعصية، ومعنى استوى الله على العرش، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وبيان أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين؛ وكون العبد مع أقواله وأعماله مخلوقاً، وذكر فيها أيضاً تقسيم الناس إلى ثلاثة: المؤمن والكافر والمنافق، وبين أن الاستطاعة مع الفعل؛ لا قبله ولا بعده؛ وبين وجوب المسح على الخفين، وأمر الله تعالى أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير؛ (واستدل بالنص) والبعث بعد الموت،

وبيان الفضيلة في نساء العالمين.

ومما امتازت به هذه الرسالة في سوقها؛ أنه ذكر فيها بعض القضايا الكلامية مصدراً بكلمة (نقرّ)، وكان الإمام أراد أن يبين ضرورة الإقرار بهذه القضايا الكلامية، ولذلك صدر كل قضية بكلمة (نقر)، وأن على المؤمن أن يقر بهذه الأمور؛ بعد إقراره بأصل الإيمان الذي يشتمل على هذه الأمور إجمالاً، ولعل وجه اختصاص هذه الأمور، أن الاختلاف حولها في عصر الإمام وصل إلى أوجها، وظهرت آراء تميل إلى إنكارها، ولذا ركز وصيته على هذه الأمور؛ التي لا تتجاوز عن اثني عشرة خصلة (بتعبير الإمام إذ عبر عنها بالخصلة)، وأراد أن ينبه؛ على أن الحق الذي وصل إليه؛ واستند عليه بالنصوص هو هذه. حتى لا يقع الناس بعده في ضلال وانحراف، ولا تزول عنهم العقيدة الصحيحة؛ بتشويه المخالفين.

وجدير بالذكر أن أقوال الإمام؛ والعثور على آرائه الكلامية؛ لا ينحصر في تلك الرسائل فحسب؛ إذ نطلع على آراء تلاميذه؛ في غير هذه النسخ؛ ككتب المناقب؛ ومؤلفات الإمامين أبي يوسف ومحمد رحمة الله عليهما.

سادساً: ملحق مبحث الإيمان برواية أبي حنيفة النعمان:

وأيضاً نعثر على منهجه الخاص في علم الحديث والكلام في مسانيده التالية:

١ – في مسند الإمام أبي القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد العدل.

٢ – ومسند الحافظ أبي الحسن محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى.

٣ – ومسند الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني.

٤ – ومسند الحافظ أبي محمد عبد الله محمد بن يعقوب الحارثي البخاري المعروف بعبد الله الأستاذ.

٥ – ومسند الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري.

٦ – ومسند الإمام أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني.

٧ – ومسند الإمام الحافظ بن عمر بن حسين الأشناني.

٨ – ومسند أبي بكر أحمد بن محمد خالد الكلاعي.

٩ – ومسندي الإمام محمد بن الحسن الشيباني؛ واحدة تسمى نسخة محمد؛ والأخرى تعرف بالآثار.

١٠ – ومسند الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الله بن العوام السعدي.

١١ – ومسند الإمام الحافظ الحسن بن زياد اللؤلؤي.

١٢ – ومسند الإمام أبي يوسف القاضي؛ وتعرف بنسخة أبي يوسف.

١٣ – ومسند الإمام حماد بن أبي حنيفة.

١٤ – ومسند الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن خسرو البلخي – رحمهم الله أجمعين –.

وقد جمع هذه المسانيد أبو المؤيد الخوارزمي في كتابه (جامع المسانيد)، وقام الإمام المحدث الفقيه السيد محمد محمد مرتضى الزَّبيدي؛ بتحقيق (جامع المسانيد)؛ فيما وافقت فيه كتب الحديث الإمام أبي حنيفة؛ سماه "عقود الجواهر المنيفة؛ في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة؛ فيما وافق فيها الأئمة الستة أو بعضهم". ([1]).

ونعرف من خلال ذلك؛ أن الإمام له يد طولى في رواية الحديث؛ ونطلع في ضمنها على بعض آرائه الكلامية؛ مدعمة بالرواية؛ وموثقة بنور النبوة ومشكاتها.

هذا وإن طبع رسائل الإمام الأعظم؛ في عصرنا هذا؛ يعتبر نافعاً لخدمة العقيدة الإسلامية، وتوضيح ما ترك لنا الإمام؛ من قضايا عَقَدية لها أهميتها.

وحينما كنت بالكويت أستاذاً بكلية التربية الأساسية، قمت بتوجيه **الأخ محمد نور سويد** بالاشتغال بجمع رسائل الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وتحقيق متنها وطبعها،

---

[1]) وقد حققها وعلق عليها الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني؛ طبع مؤسسة الرسالة.

خشية ضياعها أو أن تبقى في طي النسيان، ورغبـــة فـــي أن يتعـــرف البـــاحثون والمهتمون في العقيدة الإسلامية على آراء الإمام الأعظم، ودفعت إلى الأخ محمـــد نور ثلاث رسائل نشرها فيما سبق العلامة محمد زاهد كوثري -رحمه الله- فلبـــى تلك الدعوة، وقام بأداء العمل خير قيام، وأضاف إليها الرسالتين الأخريتيـــن: الفقـــه الأكبر والوصية، ثم دعم ذلك بملحقين: الأول مبحث الإيمـــان بروايـــة النعمـــان، والثاني: المناظرات العلمية لأبي حنيفة مع جهم بن صفوان، والخوارج، فجاءت هذه الرسائل الخمس تُنشر مجتمعة لأول مرة في نسق واحد، وفي حلة قشيبة، وفي دقـــة ووضوح، معينة على القراءة والفهم الصحيح، فجزاه الله تعالى خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

أدعو الله العلي الكبير؛ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه؛ وسبباً لرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شعبان ١٤١٥ هـ - يناير ١٩٩٥ **د. عناية الله إبلاغ**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعد:

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ومَنَّ به علينا بقوله: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٧) [سورة الحجرات]، ووفقنا إليه، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد الذي بلغ رسالة التوحيد، ونصره الله وأعزَّه، وأعلى مكانه ومكانته في الدنيا والآخرة، والرضى على آل بيته الأطهار، وصحابته الكرام الذين بذلوا كل غال ونفيس في سبيل عقيدة التوحيد، فكان فضلهم على كل مسلم مستمر إلى يوم القيامة، وبعد:

فإن في كلام السلف الصالح نوراً يسري إلى القلوب، وفي تحقيقاتهم العلمية أنموذجاً يحتذى، فتقواهم لله تريهم الطريق كرابعة النهار، تحقيقاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(٢٩) [سورة الأنفال]، وقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله واحداً من أولئك الركب، فسعى في أول طلبه للعلم إلى الفقه الأكبر، فقه العقيدة، حتى وصل إلى درجة المناظرة مع كبار علماء أهل السنة والجماعة وغيرهم، حتى قيل إنه دخل البصرة نيفاً وعشرين مرة مناظراً، وكان يحتج في مناظراته بالأدلة القرآنية، ويستحضرها بدقة فائقة، نتيجة تبحره في العلم؛ وقيامه في اللَّيل متعبداً أربعين سنة؛ يصلي الصبح فيها بوضوء العشاء، أما السنة النبوية فكان إماماً محدثاً فيها، يروي الحديث بسنده، منه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، حتى لقب فيما بعد بالإمام الأعظم ولم يلقب بها غيره، وما ذلك إلا لشدة علمه وإخلاصه وورعه وتقواه لله تعالى.

لذا فإن نشر التحقيقات العلمية لمثل الإمام أبي حنيفة رحمه الله، يعتبر تثبيتاً للنقاط العلمية العقَدية التي يحتاجها كل باحث في العقيدة الإسلامية، وخاصة في عصرنا

الحالي، الذي ضاعت فيه حرمة دم المسلم؛ واستُخف بها؛ وذهب قوم إلى تقليل شأن نطق الشهادتين التي كانت أمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أن ينطقها عمه أبو طالب وغيره، وأدى ذلك الاستخفاف إلى التسرع في التكفير، **وسبب التسرع هو انتشار فكرة:**

أن العمل من أركان الإيمان، ليس كما فهمه الأئمة القائلون به، وإنما بفهم الخوارج الذين قاموا بتكفير مرتكب الكبيرة، بينما الكبيرة عند القائلين بأن العمل من أركان الإيمان لا يكفر صاحبها.

فإذا كان لا يكفر صاحب الكبيرة عند أهل السنة القائلين بدخول العمل في أركان الإيمان، فقد اتفقوا مع أبي حنيفة القائل بأن العمل ليس داخلاً في ركني الإيمان، وإنما هو متمم ومكمل لهما، فالنتيجة واحدة عند الفريقين.

والجميع متفق على أن الله تعالى يغفر الذنوب ولا يغفر أن يشرك به:

(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(٤٨) سورة النساء.

فإذا كان العمل من أركان الإيمان فهل يمكن القول: إن الله يغفر بعدم وجود ركن الإيمان، مع الإجماع بأن مرتكب الكبيرة لا يكفر؟!

ومن جهة أخرى فإيمان الملائكة يدخل فيه عملهم، لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أما الإنسان فهو مركب على الطاعة والمعصية، وآيات وأحاديث التوبة ومغفرة الله تعالى تدل على وجود المعصية من الإنسان حتى تحصل المغفرة من الله ويتحقق اسم الله تعالى الغفور.

وكذلك بين القرآن أن أكل آدم من الشجرة عن شهوة الخلد ونسيان منه ولم يكن له عزم على مواجهة إغراء الشيطان (فنسي ولم نجد له عزماً) فتاب فتاب الله عليه، أما إبليس فإنه أنكر الأمر واستكبر؛ فأصبح رجيماً إلى يوم الدين.

فإنكار العمل محله القلب، وفعل العمل محله الجوارح، فالجوارح تفعل الطاعات

والمعاصي، والقلب إما مؤمن أو كافر، ولا ثالث لهما.

ومن الجهة الأصولية فقد ذكر علماء الأصول أن الأمر على التراخي وليس على الفور إلا إذا دلت قرينة على الفور، فهل يمكن القول عندئذ: إن الإيمان على التراخي عند من يدخل العمل في أركان الإيمان؟!. فإن قال: نعم، فقد أدخل جميع الفروض والسنن على الفورية وهذا لم يقل به أحد!!!.

وعدم دخول العمل في أركان الإيمان ليس تقليل من شأن العمل، فمرتكب الكبيرة مع اعترافه بذنبه يبقى مسلماً عند أهل السنة، بينما إنكار حكم ثبت بالقرآن أو السنة المتواترة يصبح الإنسان كافراً ولو أتى بكل الأعمال الصالحة.

وعندما يقال عن السنة سنة والفرض فرضاً فهذا ليس تقليل من شأن السنة بجانب تعظيم الفرض، وإنما لمعرفة الحكم الشرعي لكليهما، فقد يثبت حكم الفرض بالقرآن أو بالسنة، وقد يثبت حكم السنة بالكتاب أو السنة، فمعرفة الحكم الشرعي ضروري ومهم حتى لا يقع الخلط بين الأحكام، فتقدم السنة على الفرض أو الواجب مثلاً، فلا بد من معرفة الحكم الشرعي ما هو؟ لتنزيله في محله في الاعتقاد والعمل، وبهذا افترقت المذاهب الفقهية عن الفوضى الدينية التي ظهرت في الفترة الأخيرة.

وهنا تبرز أهمية نشر رسائل الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وحججه وبراهينه وأدلته، وذلك لتصحيح مسار الصحوة الإسلامية وترشيدها.

وهذه الرسائل تمثل نموذجاً في التعلم والتعليم والتربية، وكيفية إقامة الحجة، وهي مدرسة متكاملة الجوانب، تحتاج من الإنسان التعمق في دراستها.

ومن مميزات هذه الرسائل كذلك: الوحدة المتكاملة، فلا تجد فيها تناقضاً، رغم كتابتها في فترات زمنية مختلفة، حتى إن وصيته التي أوصى بها تلامذته؛ كانت تأييداً لما قاله في رسائله السابقة، منذ أمد بعيد. وهذه ميزة قل من تمتع بها من العلماء؛ قديماً وحديثاً.

ونلحظ كذلك أن الإمام في هذه الرسائل طويل النَّفَس في الحوار، قليل الغضب؛ مهما كان السؤال محرجاً ودقيقاً، فتراه يجيب بتؤدة، ويرد بحكمة، ويستدل بالآية على معنى دقيق يغفل عنه كثير من الناس، وهذه الميزة تدل على الخلق الرفيع الذي تمتع به الإمام، كأستاذٍ ومربٍ وعالمٍ.

لهذا كله أدركت علة الرغبة الكبيرة لشيخنا الدكتور عناية الله إبلاغ -حفظه الله في صحة وعافية-، وحرصه الشديد على اشتغالي في جمع رسائل الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- ونشرها، وهذه ثقة أعتز بها.

وقد غاص شيخنا -حفظه الله بصحة وعافية - فيها سنين من عمره، فكان نتاجة ذلك وثمرته كتابه القيم:**(الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله وآراؤه في العقيدة الإسلامية)** ([1]) الذي طبع حديثاً في حلة قشيبة.

ولما طلب مني أن أقوم بهذا العمل، تهيبته بادئ ذي بدء، فإذا به يدفع إلي مقدمته التحقيقية المثبتة في صدر هذا الكتاب، فكان لزاماً علي أن أقوم بخدمة جمع وإعداد هذه الرسائل، المنتشرة في عدة كتب، وكان من توفيق الله العثور عليها جميعاً، ثم بإضافة ملحقين مؤيدين للرسائل الخمس.

عملي في هذه الرسائل:

١ - النسخ والمقابلة لنصوص الرسائل:

- رسالة الفقه الأكبر: تم الاعتماد على نسخة شرح العلامة ملا علي القاري على الفقه الأكبر، وشرح الشيخ أبو المنتهى. والشروح تعتبر من أقوى الأدلة على نسبة المتن لصاحبه، إذ تلقي العلماء للمتن وشرحه دليل القبول والرضى، ودليل الإعجاب والتقدير.

- رسائل: الفقه الأبسط؛ ورسالة العالم والمتعلم؛ ورسالة أبي حنيفة إلى

---

[1]) طبع في دار الترجمة في الكويت.

عثمان البَتِّي([1]): من تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله.

- رسالة الوصية: من شرح أبي المنتهى.

- ملحق مبحث الإيمان من رواية أبي حنيفة النعمان: من كتاب عقود الجواهر المنيفة فيما وافق أبي حنيفة للكتب الستة للإمام المحدث محمد مرتضى الزَّبيدي؛ تحقيق الشيخ وهبي سليمان الغاوجي.

- ملحق المناظرات: من كتاب حياة أبي حنيفة رحمه الله لموفق الدين المكي.

٢ - عزو الآيات إلى سورها ورقم الآية وأدخلت رقم الآية ثم اسم السورة بعدها في نفس السطر حتى لا تثقل الحواشي، وليقرأها القارئ مباشرة.

٣ - بالنسبة إلى تخريج الأحاديث النبوية التي استدل بها الإمام كإمام محدث، فقد قال العلماء: إن الإمام المجتهد إذا استدل بحديث فهذا دليل على صحته لديه، ولو كان ضعيفاً عند غيره، لأن استدلاله -كإمام مجتهد- توثيق للحديث، وما يسمى الإمام مجتهداً حتى يكون إماماً في الحديث بالإضافة لإمامته في العلوم الإسلامية الأخرى، لذا لم أخرج الحديث عند الأئمة الآخرين، إذ يكفي القول أخرجه أبو حنيفة رحمه اللهَ تعالى، هذا سبب أول.

وسبب آخر هو أن يتم التركيز على الفكرة بعدم تضخيم حجم الكتاب بالحواشي.

وسبب ثالث هو أن أغلب الأحاديث التي ذكرها الإمام في رسائله الخمس، تم تحقيق أغلبها في ملحق أحاديث الإيمان من قبل المرتضى الزَّبيدي، فلا حاجة لتكرار ذلك.

ومع هذا فقد عملت تجربة على تخريج أحد الأحاديث، فوجدت الأمر سيطول،

---

[1]) وأعدت المقابلة على طبعة تحقيق شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبي غدة -رحمه الله- في كتابه (رسائل الأئمة السلف) والتي منها رسالة أبي حنيفة إلى عالم البصرة عثمان البتي..

وقد يخرج الكتاب من هدفه العقَدي، فآثرت أن يبقى في وضعه الحالي على أمل العودة إليه في طبعة تالية إلى تحقيق القضايا العقَدية وتخريج المرويات الحديثية إن شاء الله تعالى.

ولأن الهدف الأساسي لهذه الطبعة إصدارها كمتن، كما وردت عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى؛ ليبقى القارئ يعيش مع الإمام، لا أن يعيش مع التعليقات والحواشي إلا فيما ندر.

٤ – وضع الفواصل والنقاط؛ وإخراج النص بطريقة تسهل على القارئ فهم العبارة، وتساعده على المعرفة، وشرح بعض الكلمات.

٥ – لم أثقل الحاشية بأي تعليق –إلا ما ندر–، وكان الإيثار بتدقيق النص دون شرحه، ليغوص الباحث المحب فيها، محللاً ومركباً، مدققاً ومناقشاً، معارضاً ومؤيداً، إلى أن يتضح له المراد.

ومن أراد المزيد فعليه بكتاب شيخنا: (**الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله وآراؤه في العقيدة الإسلامية**)[1]. فإن فيه ما يروي الظمأ، ويحرك الفكر، وينشط الذهن، ويبرز جمال رسائل الإمام رحمه الله تعالى.

٦ – لم أدَّعِ التحقيق، وإنما الإعداد، لأن التحقيق يتطلب دراسة كل قضية وردت في النص، وأقوال ومذاهب العلماء فيها، وهذا مجاله الدراسات التخصصية، مثل كتاب شيخنا المذكور أعلاه، وغيره من الكتب المعتمدة.

٧– اكتفيت بما ذكره شيخنا الدكتور عناية الله بتحقيق نسبة الرسائل إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، **وأزيد هنا عدة أمور:**

أولاً– إن سند هذه الرسائل من قبل علماء جهابذة في العلم، يؤيد نسبتها للإمام، وإن تطبيق بعض الباحثين علم الجرح والتعديل في علم الحديث على سند

---

[1]) يطلب من المؤلف على هاتف ٢٦٦٧٣٨٠-٠٠٩٦٥ الكويت.

الرسائل قد جانبه الصواب من عدة وجوه:

آ- لأن نصوص الإمام أبي حنيفة وغيره من العلماء ليست من علم الحديث الشريف حتى تطبق عليه شروط سند الأحاديث الشريفة.

ب- لو طبقنا علم الجرح والتعديل المعمول به في دراسة السنة النبوية في تحقيق نسبة الكتب إلى مؤلفيها، فلا يصح عندها نسبة غالب الكتب، وليس رسائل أبي حنيفة فحسب.

ج- من المعروف في علم الحديث أن الحديث النبوي إذا اشتهر في بادئ أمره، فلا يحتاج إلى السند، فمن باب أولى أن الكتب العلمية إذا اشتهرت بين العلماء وشرحت دل على صحة نسبتها إلى أصحابها.

قال الموفق المقدسي رحمه الله: (واعلم رحمك الله أنه ليس من شرط صحة التواتر الذي يحصل به اليقين؛ أن يوجد عدد التواتر في خبر واحد؛ بل متى نقلت أخبار كثيرة في معنى واحد؛ من طرق يصدق بعضها بعضاً، ولم يأت ما يكذبها أو يقدح فيها؛ حتى استقر ذلك في القلوب واستيقنته، فقد حصل التواتر، وثبت القطع واليقين، فإننا نتيقن جود حاتم؛ وإن كان لم يرد بذلك خبر واحد مرضي الإسناد؛ لوجود ما ذكرنا، وكذلك عدل عمر ﷺ، وشجاعة علي وعلمه ﷺ، وعلم عائشة رضي الله عنها، وأنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبي بكر ﷺ، وأشباه هذا لا يشك في شيء من ذلك، ولا يكاد يوجد تواتر إلا على هذا الوجه)([1]).

د- اشتهر عن الإمام أحمد -رحمه الله- قوله: (إذا كان الحديث في الحلال والحرام شددنا، وإذا كان في فضائل الأعمال تساهلنا). فمن باب أولى رواية الكتب عن أصحابها.

---

[1]) كتاب (إثبات صفة العلو) لعبد الله بن قدامة المقدسي ت: ٥٤١هـ- طبع الدار السلفية في الكويت ص٤٢.

هـ - إن شروط علم الجرح والتعديل تطبق في رواية السنة الشريفة، فإذا كانت في العلوم الإسلامية الأخرى طُبق عليها شروط ذلك العلم، وبراعة ذلك العالم، وشهرته تذكر في كتب الطبقات، وشهادة أهل العلم بعلمه.

لذلك وجدنا مختلف كتب الطبقات نحو: طبقات الحفاظ؛ وطبقات المفسرين؛ وطبقات الفقهاء: الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وكتب طبقات الأدباء والأطباء.. وغيرها والله أعلم.

فيتم تطبيق ما ذكرته كتب الطبقات على رجال سند الكتب، وليس تطبيق كتب الجرح والتعديل الخاصة برجال رواية السنة النبوية، لما لها من قدسية خاصة.

و- من المعروف أن طبقة رواية الكتب أقل شأناً من صاحب الكتاب نفسه، فمثلاً صحيح البخاري، الذي رواه عنه أقل من البخاري علماً وتوثيقاً، فهل نطعن في نسبة صحيح البخاري لأن من رواه عنه لم تنطبق عليه شروط المحدثين؟!، وهكذا في بقية الكتب، وهذا في علم الحديث الشريف نفسه، فمن باب أولى في غيره من العلوم.

ثانياً- وطعن بعضهم في بعض هذه الرسائل لأنها ليست من تأليف أبي حنيفة ﷺ، وإنما من جمع تلامذته، والجواب:

آ- كثير من الكتب تلقتها الأمة عن طريق تلاميذ الأئمة، بل إن حديث الرسول ﷺ تلقتها الأمة عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكتبها الرسول ﷺ بيده، وعندما ينقل ابن القيم رأي شيخه ابن تيمية -رحمهما الله- فهل يشكك به أحد ويرفضه، لأنه لم يجده في كتب ابن تيمية؟!.

وحتى في عصرنا الحاضر وجدنا تفسير أضواء البيان للشنقيطي عن طريق تلميذه عطية محمد سالم -رحمهما الله-، فالعبرة في وثوق الأمة من علم التلميذ الآخذ عن شيخه، فتثق عندها في نسبة القول إلى شيخه.

ب- إن الفقه الأصغر -الفقه التشريعي- للإمام أبي حنيفة، لم يكتبه الإمام ﷺ

بيده، وإنما نقله تلاميذه من بعده، أعني كتب ظاهر الرواية الستة([1])، من تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وهي عمدة المذهب الحنفي، فهل يستطيع أحد أن ينكر فقه أبي حنيفة لأنه لمْ يصلنا مكتوباً بيده؟! وهل يستطيع أحد أن ينكر آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي الموجودة في كتاب تلميذه سيبويه -في النحو-، وهو ينقل آراء أستاذه الخليل؟!.

ج- إن ميزة هذه الأمة عن غيرها هو التلقي من أفواه العلماء، وليس الاقتصار على الكتب، وكان يطعن في الرجل إذا تلقى علمه مباشرة من الكتب، ولم يأخذها من أفواه العلماء، فالتلقي عن العلماء خصيصة هذه الأمة المحمدية، وبذلك حفظ فهم العلوم بالتلقي، وليس من القراءة في الكتب فحسب، وتلك حكمة عظيمة منها:

١ً- لكي لا يدخل العلم ممن ليس من أهله، كما نراه في واقعنا المعاصر؛ من وجود فهم المستشرقين والمستغربين، الذين يأتون بأضحوكات من التشكيكات يحسبونها علماً.

٢ً- توريث الفهم السليم، وفك العبارة حسب الأصول العلمية اللغوية والأصولية و الحديثية.

٣ً- فتح عقل التلميذ ومغاليق فهمه.

٤ً- تدريب التلميذ على الحوار والمناقشة، وأقوال العلماء وإجاباتهم.

٥ً- الانتظام في الحضور وغشيان الملائكة لمجالس العلم، وحصول التغذية الروحية بالإضافة إلى العقلية.

٦ً- اللقاء بطلبة العلم وتجديد الروح الاجتماعية التي دعى إليها الإسلام.

٧ً- كلما تلقى التلميذ عن عالم معتبر قوي في مادته العلمية أنتج تلميذاً قوياً، لأن

---

[1]) كتب ظاهر الرواية هي: الأصل ويسمى المبسوط، والسير الكبير والصغير، والجامع الكبير والصغير، والزيادات، وكلها مطبوعة في الهند أولاً ثم بيروت ثانياً.

الأستاذ مفتاح العلم، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيـــان.

ذكاءٍ وحرصٍ وبلغــــــة **وصحبة أستاذ** وطول زمان.

وكما قال أحد العلماء: مصاحبة العالم مثل الغمامة لا تدري متى يهطل مطرها.

٨- يكفي القول أن التلقي بالمشافهة سنة نبوية، فلو شاء الله تعالى لأنزل القرآن جملة واحدة، وترك الناس يفهمونه بأنفسهم، لكنه سبحانه أرسل الرسول ﷺ لكي يبين للناس ويشرح لهم، ويكون القدوة العملية في التطبيق:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٤٤) سورة النحل.

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُــــدًى وَرَحْمَـــةً لِقَــوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٦٤) سورة النحل، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون القرآن والســـنة من النبي ﷺ.

وما قيام المدارس والجامعات في عصرنا إلا دليل أهمية التلقي.

فإذا ثبت التلقي للتلميذ من شيخه، دل على ثبوت ما ينسبه إلى شيخه مــــن قــول دلالة ظنية، فإذا شاركه غيره من التلاميذ دل على ارتفاع نسبة الدلالة الظنية حتـــى تقترب من اليقين، فإذا أصبح التلاميذ أئمة فيما بعد دل وثوق ما ينسبونه إلى شيخهم بشكل يقيني.

ورسائل الإمام لا يمكن إنكارها بسبب عدم قيام الإمام بتأليفــــها وإنمــا روايــة تلاميذه، فما دام أئمة الحنفية قد ذكروها في كتبهم، وتناولوها بالشرح فــــهذا كــاف لنسبتها إليه، كما ذكره شيخنا د. عناية الله في مقدمة تحقيق نســـبة الرســائل إلـــى الإمام.

ثالثاً- وظهر في الآونة الأخيرة من يطعن في إمامة أبي حنيفة ﷺ نفسه، وليت شعري كيف يكتب أولئك ذلك، وقد ثبتت إمامة أبي حنيفة من العصور الأولى إلـــى يومنا هذا، وقد سار على منهجه أكثر من نصف عدد المسلمين من عصـــره وإلـــى

يومنا هذا، فهل مثل هذا الرجل الإمام بحاجة إلى مدح باحث في عصرنا، فضلاً عن ذمه له!!!.

إن الطعن اليوم بإمامة أبي حنيفة ﷺ، إنما هو طعن لعدد كثير من الأئمة الذين ساروا خلف هذا الإمام، وطعن في الخلافة الإسلامية: الأموية والعباسية والعثمانية، اللواتي سارت على منهج فقه أبي حنيفة ﷺ، وليت شعري إن أبا حنيفة ﷺ يمثل خط الدفاع الأول عن عقل وفهم المسلم للإسلام، لأنه إمام أهل الرأي، فإذا طعن به، سهل الطعن بغيره وهكذا دواليك.

وإن الطعن اليوم في أبي حنيفة ﷺ، طعن في السلف الصالح، وطعن في خير القرون، التي منها ينتسب إليها أبي حنيفة ﷺ، وقد سار السلف الصالح خلفه، فكيف يستجيز لنفسه مسلم عاقل أن يطعن في الأئمة والأمة هكذا!!!.

إن من يطالع أي كتاب في الفقه الحنفي يرى عبقرية وذكاء هذا الإمام(١)، الذي استطاع تربية تلاميذه أن يخالفوه في الرأي الفقهي في مجلسه، فينمّي من مواهبهم العلمية، ويزيد من قدراتهم الفكرية، ويفتق لهم مواهبهم العقلية(٢)، وهل وظيفة العالم مع تلامذته إلا فعل ذلك؟! حتى قال تلميذه الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله: كنا ننازع أبا حنيفة القياس، فإذا قال: أستحسن فلا يلحق به أحد.

وهل القياس والاستحسان إلا دليل الفقه والفهم والذكاء في الاستنباط؟!.

ونرى كذلك في كتب الحنفية أقوال الإمام بجانب أقوال تلاميذه، بلا تعصب لقول

---

(١) من الأمور المهمة التي أخذت المملكة العربية السعودية بفقه أبي حنيفة رحمه الله أمرين مهمين: الأول فقه قتل المسلم بالذمي، والثاني فقه استئذان الإمام (ولي الأمر) في استصلاح الأرض البوار وكلاهما من فقه أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

(٢) كما يقول شيخنا الدكتور محمد فوزي فيض الله -حفظه الله في صحة وعافية- والذي تربيت عنده بنفس الطريقة بالحوار والمناقشة فجزاه الله خير الجزاء.

الإمام، وإنما مقارعة الحجة بالحجة، حتى إنك لترى أن القول المعتمد أحياناً في المذهب الحنفي هو قول التلميذ([1]) وليس هو قول الإمام، وما ذاك إلا دليل إخلاص هذا الإمام الذي ربى تلاميذه على عدم التعصب لشخصه وإنما لقوة الدليل وحجية فهمه، فمن يستطيع أن يفعل ذلك اليوم إلا القليل النادر؟!.

إننا نرى اليوم من لا يقبل أن يقال عن شيخه الذي يحبه أو من يرى إمامته أنه قد أخطأ، بينما نرى المذاهب الفقهية الأربعة تفعل ذلك في كتبها، ولا تجد غضاضة لدى المتبوعين، فأي الفريقين متهم بالتعصب؟!.

وأي الفريقين يتبع الأشخاص؟ وأي الفريقين يتبع الحق؟!! وأي الفريقين يحجر عقله على رأي واحد؟ واجتهاد واحد؟!.

رابعاً- والبعض يطعن في إمامة أبي حنيفة في الحديث، والجواب عليه([2]):

آ- إن علم الفقه هو ثمرة العلوم الإسلامية جميعها، فلا يستطيع أحد أن يستنبط

---

[1]) كان تلاميذ الإمام أبي حنيفة أئمة مجتهدون، انتخبهم الإمام من ألف تلميذ من تلامذة شيخه حماد بن سليمان -بعد وفاته- إلى أربعين تلميذاً كلهم في رتبة الاجتهاد، فلا يظن أحد عند سماع كلمة تلاميذ أو تلميذ أبي حنيفة أنه في رتبتهم ومقامهم!!! فيحق له الاجتهاد ومخالفة الإمام رحمهم الله تعالى.

[2]) انتهيت من بحث (الإمام أبو حنيفة محدثاً في كتب المحدثين) جمعت فيه ما أورده المحدثون في كتبهم بسندهم إلى أبي حنيفة كمحدث يروي الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع، وانظر بتوسع (قواعد في علوم الحديث) للعلامة ظفر التهانوي تحقيق شيخنا عبد الفتاح أبي غدة -رحمهما الله تعالى- ففيه أقوال أئمة الحديث في الثناء على أبي حنيفة في الحديث، وانظر (أبو حنيفة بين الجرح والتعديل) وهي رسالة ماجستير من جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٦ هـ.إعداد الطالب شاكر ذيب فياض، وإشراف الدكتور محمد صادق عرجون رحمه الله.

وانظر (مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين) تأليف الدكتور محمد قاسم عبده الحارثي وهي رسالة دكتوراة من كلية الدراسات الإسلامية في كراتشي-باكستان، طبع إدارة القرآن والعلوم الإسلامية بباكستان.

حكماً فقهياً شرعياً، ما لم يكن قد برع في العلوم الإسلامية كلها، فكيف وقد خضعت الأمة لفقه أبي حنيفة ﷺ ولا يكون إماماً في الحديث الشريف؟!، **وهذا لا يحصل إلا بأحد أمرين منفردين أو مجتمعين معاً وهما:**

١- إما أن يكون الإمام أبو حنيفة عالم في السنة وعلوم الحديث الشريف، حتى تطابق رأيه الفقهي مع الكتاب والسنة.

٢- أو رجل رباني صاحب كرامات، حتى تطابق فقهه مع الكتاب وعلم الحديث الشريف.

وكلا الأمرين منقبة لأبي حنيفة ﷺ، ودليل فضل له.

ولنضرب على قوة فقه الإمام بمثال:

فقد ذكر القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك ١/١٥٧) قال الليث: لقيت مالكاً بالمدينة، فقلت له: إني أراك تمسَحُ العَرَق عن جبينك؟ قال: عَرِقتُ مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصريٍّ!.

ثم لقيت أبا حنيفة، فقلت: ما أحسنَ قولَ ذلك الرجلِ فيك! فقال أبو حنيفة: والله ما رأيتُ أسرعَ منه بجوابٍ صادق ونقد تام(١).

وإن لأبي حنيفة ﷺ منقبة قل من شاركه فيها أحد في السابق وفي اللاحق وهي إنفاقه على نفسه وعلى تلامذته وعلى الفقراء من ماله الخاص، وليس من راتب الدولة، أو من كسب تأليفه، وإنما من كسب تجارته، ولم يمد أبو حنيفة ﷺ يده يطلب راتباً أو معونة أو أجراً على نشر العلم، وهو الوحيد من الأئمة الفقهاء الذي مات في السجن كما في بعض الروايات، وضُرب على عدم قبوله استلام منصب قاضي

---

(١) انظر (رسائل الأئمة السلف) لشيخنا عبد الفتاح أبي غدة -رحمه الله- ص١٤ ثم علق بالهامش: في ترتيب المدارك (وزهد تام) والأليق بالمقام ما أثبته، فانظر تقدير العلماء بعضهم لبعض، وثناء أحدهم على صاحبه بالغيب هذا الثناء الجميل، دون تكلف وتزلف) انتهى.

قضاة للخلافة الإسلامية، التي كانت تمتد من الشرق إلى الغرب، في حين نـــرى في عصرنا الحاضر من لا يستطيع فعل واحد بالمئة ما فعل الإمام أبي حنيفة ﷺ.

فالأفضل أن يتأدب المعاصر مع سلف الأمة الصالحين أكثر وأكثر، وخاصة مع الأئمة الذين سارت الأمة وفق منهجهم، حتى لا يدخل المرء في محاربة أولياء الله، وقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..الحديث).

وروى ابن ماجه عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُـــولِ اللَّـــهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ **قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي**، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟! قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ **مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ**، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ؛ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ)

فمن يستطيع مقاومة حرب الله تعالى؟! وقد قال الله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُـــورٍ(٣٨) [ســورة الحج].

وقد قال الإمام الشافعي: (إذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي).

خامساً– وإن الطعن في إمامة أبي حنيفة طعن في علماء الحديث الحنيفة الذين ساروا خلف هذا الإمام(١)، نحو المحدث مكي بن إبراهيم تلميذ أبي حنيفـــة وشيـــخ

---

١) انظر مقدمة (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) للزيلعي لترى أسماء علماء الحديث من الحنفية.

الإمام البخاري، الذي روى عنه أغلب ثلاثياته في صحيحه (أكثر من ثلثيها)(١).

ويكفي أن تعلم أن الإمام عبد الرزاق صاحب المصنف هو تلميذ أبي حنيفة روى عنه في مصنفه، وعبد الرزاق هو شيخ البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم، ومن المشهور بين المحدثين أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن هما من المحدثين وهما من أخص تلاميذ أبي حنيفة -رحمهم الله-، وهما راويا علمه في الفقه والحديث وغيرهما.

والطعن في الإمام أبي حنيفة ﷺ طعن في الإمام أبي جعفر الطحاوي صاحب التصانيف المتميزة والفريدة في بابها، في علم العقيدة والسنة والفقه، وغيرهم من الأئمة الحنفية كثير جداً.

<u>والخلاصة</u> أنه إذا سُمح للأقلام الناشئة في طلب العلم اليوم الهجوم على مثل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فسيأتي دور غيره وهكذا، وعندئذ تصبح المشكلة مستعصية الحل، وعندها سيتخذ الناس الجهال فيفتونهم بغير علم، عن طريق الهوى أو غيره، وعندها تكون الطامة الكبرى، وما وجود القوانين الوضعية وانتشارها في أغلب البلاد الإسلامية إلا ثمرة البعد عن المذاهب الفقهية الأربعة(٢)، فهل يعقل العقلاء والمتحمسون للإسلام فداحة وخطورة الموقف!!!

لهذا اعتبرَ العلماء أن من ثبتت إمامته لا يُقبل الجرح فيه، لأنه يستحيل أن تأتي هذه الإمامة بالصدفة أو الافتراء.

---

١) ومجموع ما رواه البخاري عن مكي بن إبراهيم ٣١ (واحد وثلاثون) حديثاً، وروى عنه مسلم حديثاً واحداً، والترمذي حديثين، وأبو داود أربعة أحاديث، وابن ماجه حديثاً، وهو شيخ الإمام أحمد وروى عنه في مسنده تسعة عشرة حديثاً، وشيخ الإمام ابن ماجه وروى عنه ثلاثة أحاديث.

٢) كما يقول شيخنا الدكتور محمد فوزي فيض الله -حفظه الله في صحة وعافية-

سادساً- وباحث آخر جعل متن عقيدة الطحاوية وغيره من العلماء، تُحاكم آراء الإمام أبي حنيفة في هذه الرسائل، فما وافقها قبله، وما خالفها رفضه، ولست أدري هل يقبل ذلك الباحث تقديم رأي ابن القيم على شيخه ابن تيمية رحمهما الله؟! وهل هذا المنهج سليم في بابه؟! أم أن المحاكمة الحقة تكون لقوة الدليل ومدى قربه من الكتاب والسنة وفهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان؟!.

إن من سيقرأ آراء الإمام أبي حنيفة في هذه الرسائل سيرى بأم عينيه كيف أن هذا الإمام يستنبط من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ما لا يخطر بالبال.

ولو أن ذلك الباحث لم يُخَطِّئ رأي الإمام واكتفى بنصرة رأي على آخر، لكان الأمر أهون من سابقه.

إني لا أقول بعصمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وهو لم يَدَّعِ ذلك لنفسه، ولم يدعها أحد له من تلامذته، وإنما لشدة ذكائه، وقوة فكره، وعمق رأيه، وعظم زهده، وقمة ورعه، أقول:

إن على الباحث أن يفهم رأي أبي حنيفة فهماً جيداً، ويتدبره بعمق، ويقلب وجهة نظره مرات عدة، ويرى مداه واتساعه، وينظر مصلحة الأمة والتيسير عليها، ويتفقه في الناسخ والمنسوخ، ثم بعد ذلك يرد على رأي الإمام أبي حنيفة إن أمكنه، فإذا فعل الباحث ذلك فستتولد في نفس ذلك الباحث الثقة برأي واجتهاد أبي حنيفة رويداً رويداً، لأن الثقة تبنى شيئاً فشيئاً من الاحتكاك المباشر، وتزداد بإثبات الواقع صحة ذلك الرأي، ولا توهب الثقة للإنسان وهباً.

ولست هنا أُفخم ولا أُعظِّم أبا حنيفة ﷺ، فهو عظيم قبل أن أولد، وإنما أدعو لتقدير هذا الإمام الذي لا يدانيه من جاء بعده، إلا القلة القليلة، وكما قال الإمام الشافعي -وهو تلميذُ تلميذِ أبي حنيفة رحمهم-: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة

رحمه الله([1]).

سابعاً- والبعض يستشهد بقول الإمام مالك رحمه الله: (كل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر الشريف ﷺ). فيستخدمها في غير موضعها، حيث يعتمد على هذه الكلمة المباركة في الرد على الأئمة بتسرع.

إن الأئمة يردون على الأئمة، والتلاميذ يردون على التلاميذ، والباحث الذي يريد الحقيقة بحاجة لدراسة أقوال الأئمة بعمق، ثم بعد ذلك يتبنى رأياً يرى أنه الحق بعد دراسة وتمحيص، وبعد معرفة علم أصول الفقه والحديث والتفسير والعربية، وبعد التلقي عن الشيوخ المعتبرين الذين تلقوا عن الشيوخ.

أما أن يتسرع القول، أو يكون من الذين لا يجيدون قراءة الفاتحة، أو فك عبارة علمية، أو لا يستطيع أن ينظر في كتب الأدلة، ثم يقوم بالرد على الأئمة، متذرعاً بكلمة الإمام مالك رحمه الله، فهذا هو العمل الذي لا يرضاه الإسلام، ولا يقبله المنهج العلمي في أي علم من العلوم.

فإذا كانت درجة المفتي والقاضي تحتاج إلى صفات عالية من العلم والخبرة بعبارات العلماء، وتفرس في النفس البشرية حتى لا ينخدع بالمستفتي والمتهم، فكيف يكون الأمر لمن يريد الوصول إلى رتبة الاجتهاد العليا؟!

وهذا ليس تيئيساً في الوصول إلى رتبة الاجتهاد المطلق، وإنما إقرار بضعف الهمم العلمية، والتسرع في طلب الشهادة، وضعف اللغة وعلوم الآلة وعدم الزهد

---

[1]) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١٠/ ٤٠٢ حيث قال: وقال الربيع وحرملة سمعنا الشافعي يقول: (**الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة**)، وانظر تاريخ بغدار للخطيب البغدادي ١٣/٩٩، وقد اشتهرت هذه الكلمة فلا حاجة لإنكارها من شيخنا الشافعي حفظه الله.

في الدنيا والله أعلم.

ونقطة مهمة من الضروري التنبيه عليها وهي تفاوت العلماء بالدقة العلمية، وليس في العلم نفسه، فأغلب الأحيان يتساوى أهل العلم في العموميات وإنما يتفاوتون في درجة الدقة، فكلما كانت الدقة لدى العالم دل ذلك على قوته وعمق فهمه، وقدرته على حل المشكلة العلمية وتحديد آفاقها الزمانية والمكانية.

إن الدقة التي بلغها الإمام قل من وصل إليها من بعده، بحيث استطاع أن يؤسس منهج علم العقيدة والفقه فكان فارس ميدانهما، مستمداً ذلك من الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة رضي الله عنهم.

وكان لتفرغه في طلب العلم وتربيته على أيدي الجهابذة من أهل العلم، وعدم اشتغاله في الدنيا لاستغنائه المالي، ومنهجه الشوري مع تلامذته الذين هم أئمة في العلم، كل ذلك أهله في أن يكون عالماً إماماً مجتهداً، فإذا أضيف إلى ذلك ورعه وزهده وقيامه لليل أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وعدم قبوله منصب قاضي قضاة، فيكون قد جمع بين عدة العلم، وعدة الإخلاص لله تعالى.

فهذا فضل الله يؤتيه من شاء لمن يشاء، وليس عبثاً أن تنقاد أغلب الأمة وراء رجل باع نفسه وماله وروحه في سبيل العلم والتعليم والتربية، ورسخ مؤسسة فقهية خالدة، ومنهجاً فكرياً متميزاً، يعالج القضايا بعين البصر والبصيرة النافذة، والعقل المستنير، وعلى الجامعات والمعاهد أن تقيم المهرجانات تلو الأخرى للتعريف بهذا الإمام الكنز الثمين، فمثل هؤلاء الأئمة الذين يستحقون التكريم والتعريف بحق.

أرجو من الله تعالى أن تكون هذه المساهمة خالصة لوجهه الكريم، وأن تحقق النفع للمسلمين، وأن ترشد الصحوة الإسلامية، وأن تصحح لها المسار، وأن تتعلم الحوار الهادئ، والحجة القوية في الاستنباط، وأن تكون وفية لحق هذا الإمام الجليل، وأن يكون نشرها سبباً في رفع مقامه في جنات النعيم:

(مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا(٦٩) [سورة النساء]. وأن تجمعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكتبه: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

الكويت ٢١ من رجب الفرد لعام ١٤١٧ هـ. غفر الله تعالى له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين.

العالم والمتعلم

رواية أبى مقاتل عن أبى حنيفة
رضى الله عنهما

ويليه رسالة أبى حنيفة الى عثمان البتى ثم الفقه الأبسط
رواية أبى مطيع عن أبى حنيفة
رحمهم الله

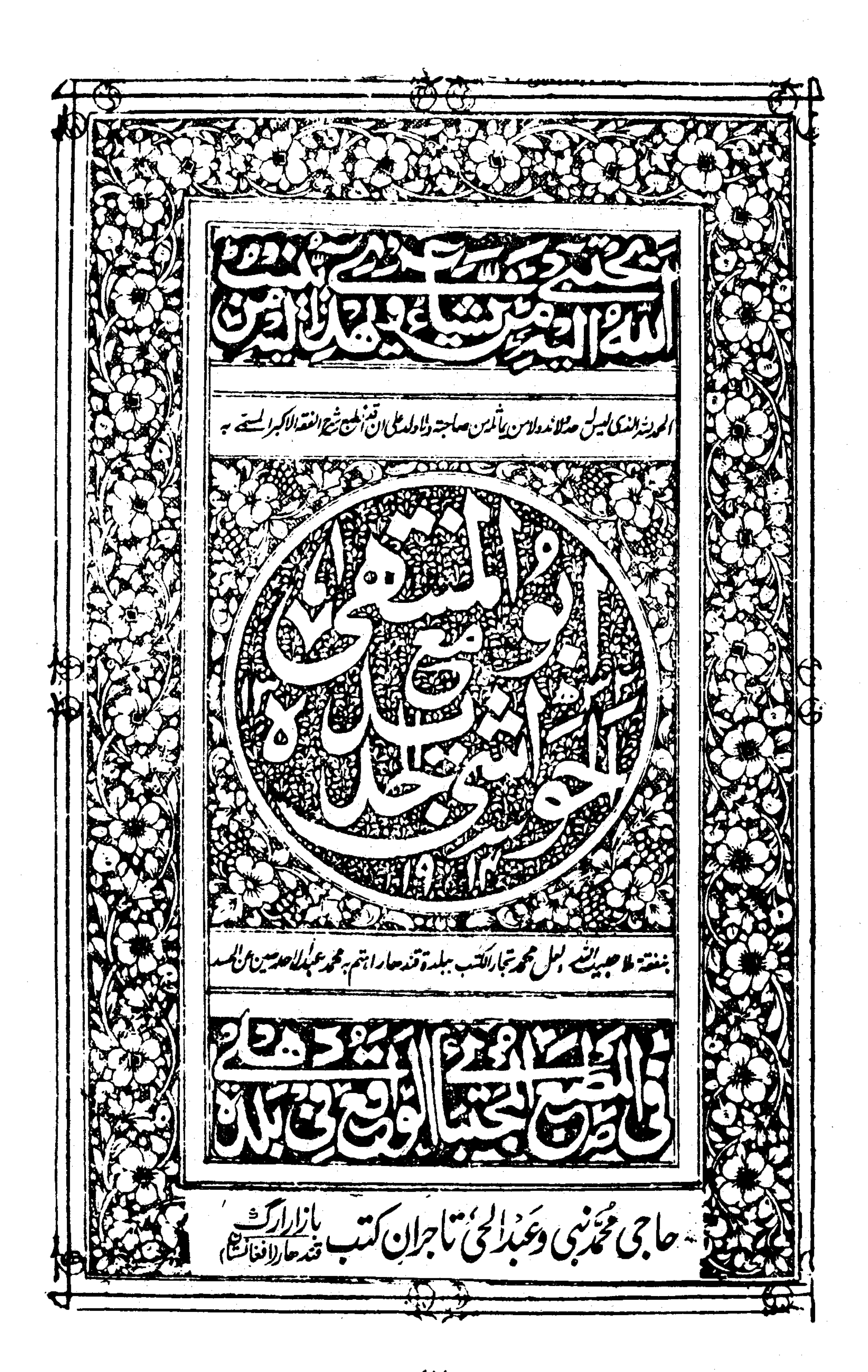
بتحقيق

محمد زاهد الكوثري

عفى عنه

شعبان سنة ١٣٦٨

مطبعة الأنوار بالقاهرة


الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
الحمد لله الذي ليس له ضد ولا ند ولا من يماثله من صاحبة ولا ولد على ان قد انطبع شرح الفقه الاكبر المسمى به
الروض الازهر مع الحواشي الجديدة
بنفقة ملا حبيب الله بن لعل محمد تجار الكتب ببلدة قندهار اهتم به محمد عبد الاحد حسين بن الصمد
في المطبع المجتبائي الواقع في بلدة دهلي
حاجي محمد نبي وعبد الحي تاجران كتب بازار ارگ قندهار (افغانستان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا الى طريق السنة والجماعة بفضله العظيم والصلوة والسلام على رسوله وحبيبه محمد الذى كان على خلق عظيم وعلى آله واصحابه الداعين الى صراط مستقيم اما بعد فيقول العبد الضعيف المذنب ابو المنتهى عصمه الله الكبير الكريم عن الخطايا والمعاصى من الاعتقاد الفاسد العقيم ان كتاب الفقه الاكبر الذى صنفه الامام الاعظم كتاب صحيح مقبول قال الشيخ الامام فخر الاسلام على البزدوى فى اصول الفقه العلم نوعان علم التوحيد والصفات وعلم الشرائع والاحكام

أول صفحة من رسالة الفقه الأكبر
شرح أبي المنتهى

علينا ونحن نذكر الساعة فقال ما تذكرون قلنا نذكر السّاعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدابّة والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم كذا في المصابيح والله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يوفق ويثبت على اعتقاد صحيح وعمل صالح من تعلق مشيته الازلية في الازل بهدايته وقول الامام الاعظم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كانه قال فما علينا الا البلاغ المبين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اللهم اهد المضلين واهدنا الصراط المستقيم

تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب الوصية

من الامام الاجل ابي حنيفة رحمه الله لاصحابه رضوان الله عليهم اجمعين

لما مرض ابو حنيفة قال اعلموا اصحابي واخواني وفقكم الله تعالى ان مذهب

آخر صفحة من شرح الفقه الأكبر
وأول صفحة من رسالة الوصية

للمتقين وفى حق النار اعدت للكافرين خلقهما الله تعالى للثواب والعقاب

والميزان حق لقوله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه

وسنجیدن اعمال انصاف حق است پس هرکه گران شد پیمانهای او

فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

پس ایشان رستگارانند و هرکه سبک شد پیمانهای او پس آن جماعت آنانند که زیان کردند

انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ۝ وقراءة الكتب يوم القيمة حق لقوله

در حق خود بسبب آنکه بآیات ما انکار میکردند

تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقه منشورا اقرأ كتابك كفى

و بیرون آریم برای او روز قیامت نامه که بیند آنرا بازکشاده گوییم بخوان نامه خود را بس است

بنفسك اليوم عليك حسيبا فصل ١٢ ان الله تعالى يحيى هذه النفوس

نفس تو امروز بر تو حساب کننده

بعد الموت يبعثهم يوما كان مقداره الف سنة للجزاء والثواب واداء الحقوق

لقوله تعالى وان الله يبعث من فى القبور ولقاء الله لاهل الجنة بلا كيف

ولا تشبيه ولا جهة وشفاعة محمد صلعم حق لكل من هو اهل الجنة وان

كان صاحب الكبيرة وعائشة رضى الله عنها افضل نساء العلمين بعد خديجة الكبرى و

هى ام المؤمنين ومطهرة من الزنا واهل الجنة فى الجنة خالدون واهل النار فى النار خالدون

لقوله تعالى فى حق المؤمنين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

وفى حق الكفرين اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون **تمت**

آخر صفحة من رسالة الوصية

الرسالة الأولى

الفقه الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الفقه الأكبر

أصل التوحيد، وما يصح الاعتقاد عليه، يجب القول: آمنت: بـــالله، وملائكتـــه، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعـــالى، والحســـاب والميزان، والجنة والنار حق كله.

والله تعالى واحد، لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له: (قل هو الله أحد(١) الله الصمد(٢) لم يلد ولم يولد(٣) ولم يكن له كفـــوا أحـــد(٤) [ســـورة الإخلاص].

لا يشبه شيء من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، **لم يزل ولا يزال بأسمائه؛ وصفاته الذاتية والفعلية:**

أما الذاتية: فالحياة، والقدرة، والعلم؛ والكلام؛ والسمع؛ والبصر؛ والإرادة.

وأما الفعلية: فالتخليق؛ والترزيق؛ والإنشاء؛ والإبداع؛ والصنع، وغير ذلك مـــن صفات الفعل.

لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يـــزل عالمـــا بعلمه؛ والعلم صفة بالأزل، وقادرا بقدرته؛ والقدرة صفة في الأزل، ومتكلما بكلامه؛ والكلام صفة في الأزل، وخالقا بتخليقه؛ والتخليق صفة في الأزل، وفـــاعلا بفعلـــه؛ والفعل صفة بالأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة.

فمن قال: إنها مخلوقة؛ أو محدثة؛ أو وقف؛ أوشك فيها؛ فهو كافر بالله تعالى.

والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلـــى الألســـن مقروء، وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس؛ فإن ذلك كله كلام الله تعالى **إخبارا عنهم**، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم، لا كلامهم.

وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى **(وكلم الله موسى تكليما(١٦٤)** [سورة النساء].

وقد كان الله تعالى متكلما؛ ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقا في الأزل، ولم يخلق الخلق، و: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(١١)** [سورة الشورى].

فلما كلم الله موسى؛ كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفة المخلوقين، يعلم لا كعلمنا؛ ويقدر **لا كقدرتنا**؛ ويرى **لا كرؤيتنا**؛ ويسمع **لا كسمعنا**؛ ويتكلم **لا ككلامنا**.

ونحن نتكلم بالآلات والحروف، **والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف**، والحروف مخلوقة؛ وكلام الله تعالى غير مخلوق. وهو شيء لا كالأشياء، **ومعنى الشيء: إثباته: بلا جسم؛ ولا جوهر؛ ولا عرض.**

ولا حد له؛ ولا ضد له؛ ولا ند له؛ ولا مثل له.

وله: يد؛ ووجه؛ ونفس؛ كما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، فما ذكره الله تعالى من ذكر الوجه واليد والنفس **فهو له صفات بلا كيف**. ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة. وهو قول أهل القدر والمعتزلة، ولكن يده صفته بلا كيف.

وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف.

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء

إلا بمشيئته؛ وعلمه؛ وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم؛ في حال عدمه معدوما، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده؛ ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا؛ ويعلم أنه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما، وإذا قعد علمه قاعدا في حال قعوده، من غير أن يتغير علمه؛ أو يحدث له علم، ولكن التغيير والاختلاف يحدث في المخلوقين.

خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم؛ وأمرهم؛ ونهاهم؛ فكفر من كفر: بفعله؛ وإنكاره؛ وجحوده الحق؛ بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن: بفعله؛ وإقراره؛ وتصديقه؛ بتوفيق الله تعالى إياه؛ ونصرته له.

أخرج ذرية آدم من صلبه؛ على صور الذر؛ فجعلهم عقلاء؛ فخاطبهم؛ وأمرهم بالإيمان؛ ونهاهم عن الكفر؛ فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيمانا؛ فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق؛ فقد ثبت عليه وداوم.

ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا، ولكن خلقهم أشخاصا، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال إيمانه، وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته.

وجميع أفعال العباد من: الحركة؛ والسكون؛ كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وهي كلها: بمشيئته؛ وعلمه؛ وقضائه؛ وقدره.

والطاعات كلها كانت واجبة: بأمر الله تعالى؛ وبمحبته؛ وبرضاه؛ وعلمه؛ ومشيئته؛ وقضائه؛ وتقديره.

والمعاصي كلها: بعلمه؛ وقضائه؛ وتقديره؛ ومشيئته؛ **لا** بمحبته؛ **ولا** برضائه؛ **ولا** بأمره.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن: الصغائر؛ والكبائر؛ والكفر؛ والقبائح؛ وقد كانت منهم زلات وخطايا.

ومحمد عليه الصلاة والسلام: حبيبه؛ وعبده؛ ورسوله؛ ونبيه؛ وصفيه؛ ونقيه؛ ولم يعبد الصنم؛ ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين؛ **لم يرتكب صغيرة؛ ولا كبيرة قط.**

وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب الفاروق، ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؛ عابدين؛ ثابتين على الحق؛ ومع الحق نتولاهم جميعا.

ولا نذكر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بخير.

ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب؛ وإن كانت كبيرة؛ إذا لم يستحلها؛ ولا نزيل عنه اسم الإيمان؛ ونسميه مؤمنا حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر.

والمسح على الخفين سنة، والتراويح في شهر رمضان سنة. والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة.

ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب؛ **ولا نقول:** إنه لا يدخل النار؛ **ولا نقول:** إنه يخلد فيها، وإن كان فاسقا؛ بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا، **ولا نقول:** إن حسناتنا مقبولة؛ وإن سيئاتنا مغفورة كقول المرجئة.

ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائطها؛ خالية عن العيوب المفسدة؛ والمعاني المبطلة؛ ولم يبطلها بالكفر والردة؛ حتى خرج من الدنيا مؤمنا؛ فإن الله تعالى لا يضيعها، بل يقبلها منه؛ ويثيبه عليها.

وما كان من السيئات؛ دون الشرك والكفر؛ ولم يتب عنها صاحبها؛ حتى مات

مؤمنا، فإنه في مشيئة الله تعالى: إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه؛ ولم يعذبه بالنار أصلا، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال؛ فإنه يبطل أجره؛ وكذلك العجب.

والآيات ثابتة للأنبياء؛ والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل: إبليس؛ وفرعون؛ والدجال؛ مما روي في الأخبار؛ أنه كان ويكون لهم؛ لا نسميها آيات ولا كرامات، ولكن نسميها قضاء حاجات لهم، وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه؛ **استدراجا لهم؛ وعقوبة لهم؛** فيغترون به؛ ويزدادون طغيانا وكفرا، وذلك كله جائز وممكن.

وكان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق.

والله تعالى يرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة؛ بأعين رؤوسهم؛ بلا تشبيه؛ ولا كيفية ([1])؛ ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

والإيمان هو: الإقرار والتصديق، وإيمان أهل السماء والأرض؛ لا يزيد ولا ينقص؛ من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق.

والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد؛ مفاضلون في الأعمال. والإسلام هو التسليم الانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام، ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن.

والدين اسم واقع على: الإيمان؛ والإسلام؛ والشرائع كلها.

نعرف الله تعالى حق معرفته؛ كما وصف الله نفسه في كتابه؛ بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته؛ كما هو أهل له، ولكنه يعبده بأمره: كما أمر بكتابه؛ وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[1]) رواها الملا علي القاري بلفظ (ولا كمية) وشرحها بقوله: أي في الهيئة المنظورة، وقد أثبت (ولا كيفية) من شرح أبي المنتهى لأنه أشمل.

ويستوي المؤمنون كلهم في: المعرفة؛ واليقين؛ والتوكل؛ والمحبة؛ والرضا؛ والخوف؛ والرجاء؛ والإيمان في ذلك، **ويتفاوتون فيما دون الإيمان في** ذلك كله.

والله تعالى: متفضل على عباده؛ عادل؛ قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد؛ تفضلا منه، وقد يعاقب على الذنب عدلا منه، وقد يعفو؛ فضلا منه.

وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق، وشفاعة نبيينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين؛ ولأهل الكبائر منهم؛ المستوجبين العقاب؛ حق ثابت.

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، **وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق**، والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز.

والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبدا، ولا تموت الحور العين أبدا، ولا يفنى عقاب الله تعالى، وثوابه سرمدا.

والله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه؛ وإضلاله: خذلانه، وتفسير الخذلان: أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه منه؛ وهو عدل منه، وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

ولا يجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا، ولكن نقول: العبد يدع الإيمان؛ حينئذ يسلبه منه الشيطان.

وسؤال منكر ونكير حق؛ كائن في القبر، وإعادة الروح إلى جسد العبد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق: كائن للكفار كلهم؛ ولبعض عصاة المؤمنين.

وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به

سوى اليد بالفارسية، ويجوز أن يقال: (بروي خدا) ([1]) عز وجل بــــلا تشبيـــه ولا كيفية.

وليس قرب الله ولا بعده؛ من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى: الكرامة؛ والهوان. والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد عنـــه بـــلا كيـــف، **والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي.**

وكذلك جواره في الجنة؛ والوقوف بين يديه؛ بلا كيفية.

والقرآن منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو في المصاحف مكتوب؛ **وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية فـي:** الفضيلة والعظمة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور مثل: آية الكرسي؛ لأن المذكور فيـــها: جـــلال الله تعالى؛ وعظمته؛ وصفاته. فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر؛ وفضيلة المذكور.

ولبعضها فضيلة الذكر فحسب؛ مثل: قصة الكفار، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، **وكذلك الأسماء والصفات** كلها مستوية في: العظمة؛ والفضـــل؛ لا تفــاوت بينهما.

ووالدي رسول الله صلى الله عليه وسلم <u>ما ماتا</u> على الكفر؛ وأبو طالب عمـــه مات كافرا. ([2])

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفاطمة ورقية**

---

[1]) ومعناها وجه الله، وشرط الجواز أن تكون مقرونة مع عبارة: بلا تشبيه ولا كيفية شـــرح أبي المنتهى.

[2]) هذه العبارة غير مدرجة في المتن الذي شرحه ملا علي القاري المطبوعـــة فـــي لبنـــان، ومدرجة في متن شرح أبي المنتهى بـــ (ماتا على الكفر) وقد أثبت التصحيح بـــ **(ما ماتا علـــى الكفر)** بناء على تحقيق العلامة الزبيدي؛ والشيخ الكوثري رحمهما الله؛ وشيخنـــا د. عنايـــة الله، والشيخ وهبه سليمان الغاوجي كما ورد في المقدمة.

وزينب وأم كلثوم كن جميعا بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضـــي الله عنهن.

وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد؛ فإنه ينبغي له: أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى؛ إلى أن يجد عالما فيســـأله، ولا يســعه تأخير الطلب، ولا يعذر بالتوقف فيه، ويكفر إن وقف.

وخبر المعراج حق، ومن رده فهو مبتدع ضال ([1])، وخروج الدجال ويـــأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كـــائن، والله تعـــالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. تمت رسالة الفقه الأكبر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأزواجه وذريته وصحبه وسلم

---

[1]) في شرح الملا علي القاري (ضال مبتدع).

الرسالة الثانية

الفقه الأبسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقه الأبسط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

روى الإمام أبو بكر محمد بن محمد الكاساني، عن أبي بكر علاء الدين محمد ابن أحمد السمرقندي قال: أخبرنا أبو المعين ميمون بن محمد المكحول النسفي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي الكاشغري؛ الملقب بالفضل، قال: أخبرنا أبو مالك نصر بن نصر الختلي، عن علي بن الحسن بن محمد الغزال، عن أبي الحسن علي بن الأحمد الفارسي، حدثنا نصير بن يحيى الفقيه، قال: سمعت أبا مطيع الحكم بن عبد الله البلخي يقول:

سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وعنهم؛ عن الفقه الأكبر؟.

فقال: أن لا تكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا تنفي أحدا من الإيمان، وأن تأمر بالمعروف؛ وتنهى عن المنكر؛ وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا توالي أحدا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي- رضي الله عنهما - إلى الله تعالى.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، ولإن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه؛ خير له من أن يجمع العلم الكثير.

قال أبو مطيع: قلت فأخبرني عن أفضل الفقه؟.

قال أبو حنيفة: أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى؛ والشرائع؛ والسنن؛ والحدود؛ **واختلاف الأمة واتفاقها.**

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

فقال: حدثني علقمة بن مرثد عن يحيى بن يعمر قال: قلت: لابن عمر رضي الله عنهما أخبرني عن الدين ما هو؟ **قال:** عليك بالإيمان فتعلمه. **قلت:** فأخبرني عن الإيمان ما هو؟ **قال:** فأخذ بيدي فانطلق بي إلى شيخ؛ فأقعدني إلى جانبه؛ **فقال:** إن هذا يسألني عن الإيمان كيف هو؟ فقال:- والشيخ كان ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ابن عمر: كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الشيخ معي؛ إذ دخل علينا رجل حسن اللمة؛ متعمما؛ نحسبه من رجال البادية؛ فتخطى رقاب الناس؛ فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **فقال:** يا رسول الله ما الإيمان؟

قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله؛ وتؤمن: بملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ واليوم الآخر؛ والقدر خيره وشره من الله تعالى".

فقال: صدقت؛ فتعجبنا من تصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مع جهل أهل البادية. **فقال:** يا رسول الله! ما شرائع الإسلام؟

فقال: "إقام الصلاة؛ وإيتاء الزكاة؛ وصوم رمضان؛ وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا؛ والاغتسال من الجنابة".

فقال: صدقت. فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يعلمه.

فقال: يا رسول الله! وما الإحسان؟

قال: "أن تعمل لله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

فقال: صدقت. **فقال:** يا رسول الله! متى الساعة؟

فقال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

ثم مضى فلما توسط الناس لم نره. **فقال النبي صلى الله عليه وسلم:** "إن هذا

جبريل؛ أتاكم ليعلمكم أمور دينكم. "([1])

قال أبو مطيع: قلت لأبي حنيفة رحمه الله فإذا استيقن بهذا؛ وأقر به؛ فهو مؤمن؟

قال:نعم. إذا أقر بهذا؛ فقد أقر بجملة الإسلام؛ وهو مؤمن.

فقلت: إذا أنكر بشيء من خلقه؛ فقال: لا أدري من خالق هذا؟

قال: فإنه كفر؛ لقوله تعالى: (..خالق كل شيء ..(١٠٢) [سورة الأنعام] فكأنه قال: له خالق غير الله، وكذلك لو قال: لا أعلم أن الله فرض علي: الصلاة؛ والصيام؛ والزكاة؛ فإنه قد كفر لقوله تعالى:

(أقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة (٤٣) [سورة البقرة].

ولقوله تعالى: (..كتب عليكم الصيام..(١٨٣) [سورة البقرة].

ولقوله تعالى: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون(١٧) وله الحمد في السموات والآرض وعشيا وحين تظهرون(١٨) [سورة الروم].

فإن قال: أؤمن بهذه الآية، ولا أعلم تأويلها؛ ولا أعلم تفسيرها؛ أااافإنه لا يكفر، لأنه: مؤمن بالتنزيل؛ ومخطئ في التفسير.

قلت له: ولو أقر بجملة الإسلام في أرض الشرك، ولا يعلم شيئا من الفرائض؛ والشرائع؛ ولا يقر بالكتاب؛ ولا بشيء من شرائع الإسلام؛ إلا أنه مقر بالله تعالى وبالإيمان؛ ولايقر بشيء من شرائع الإيمان؛ فمات؛ أهو مؤمن؟.

قال: نعم.

قلت له: ولو لم يعلم شيئا؛ ولم يعمل به؛ إلا أنه مقر بالإيمان فمات؟.

قال: هو مؤمن.

قلت لأبي حنيفة: أخبرني عن الإيمان؟.

---

[1]) ورد حديث جبريل على ألفاظ مختلفة متقاربة في المعنى، وقد حقق الروايات الإمام الزبيدي في :" عقود الجواهر المنيفة ".

قال: أن تشهد أنه لا إله إلا الله؛ وحده؛ لا شريك له؛ وتشهد بملائكته؛ وكتبه؛ ورسله؛ وجنته؛ وناره؛ وقيامته؛ وخيره وشره؛ وتشهد أنه لم يفوض الأعمال إلى أحد، والناس صائرون إلى ما خلقوا له، وإلى ما جرت به المقادير.

فقلت له: أرأيت إن أقر بهذا كله؛ لكنه قال: المشيئة إن شئت آمنت؛ وإن شئت لم أؤمن؛ لقوله تعالى:

(.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..(٢٩) [سورة الكهف].

فقال: كذب في زعمه، ألا ترى إلى قوله تعالى:

(كلا إنه تذكرة(٥٤) فمن شاء ذكره(٥٥) وما يذكرون إلا أن يشاء الله ..(٥٦) [سورة المدثر].

وقوله تعالى: (.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..(٢٩) [سورة الكهف] هذا وعيد؛ وبهذا لم يكفر، لأنه لم يرد الآية؛ وإنما أخطأ في تأويلها ولم يرد به تنزيلها.

قلت له: إن قال أصابتني مصيبة (فسئلت): أهي مما ابتلاني الله بها؟ أو هي مما اكتسبت؛ (أجبت قائلا): ليست هي مما ابتلاني الله بها؛ أيكفر؟.

قال: لا.

قلت: ولم ؟!.

قال: لأن الله تعالى قال: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ..(٧٩) [سورة النساء] – أي بذنبك؛ وأن قدرته عليك.

وقال: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير(٣٠) [سورة الشورى] أي بذنوبكم.

وقال تعالى: (.. يضل من يشاء ويهدي من يشاء ..(٩٣) [سورة النحل] قال: إلا أنه أخطأ في التأويل، ومعنى قوله:

(.. يحول بين المرء وقلبه ..(٢٤) [سورة الأنفال] أي بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

قال أبو حنيفة رحمه الله: إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية؛ هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه، وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية.

قلت: فإن قال: الله تعالى لم يجبر عباده على ذنب؛ ثم يعذبهم عليه؟، فماذا نقول له؟.

قال: قل له: هل يطيق العبد لنفسه ضرا ونفعا؟ **فإن قال:** لا، لأنهم مجبورون في الضر والنفع؛ ما خلا الطاعة والمعصية. **فقل له:** هل خلق الله الشر؟ **فإن قال:** نعم، خرج من قوله، وإن قال: لا؛ كفر؛ لقوله تعالى:

(قل أعوذ برب الفلق(١) من شر ما خلق(٢) [سورة الفلق] أخبر أن الله تعالى خالق الشر.

قلت: فإن قال: ألستم تقولون: إن الله شاء الكفر؛ وشاء الإيمان؟، فإن قلنا: نعم، يقول: أليس الله تعالى يقول:

(هو أهل التقوى وأهل المغفرة(٥٦) [سورة المدثر] نقول: نعم، فيقول: أهو أهل الكفر؟ فما نقول له؟.

- **قال:** نقول: هو أهل لمن يشاء الطاعة؛ وليس بأهل لمن يشاء المعصية، **فإن قال:** إن الله تعالى لم يشأ أن يقال عليه الكذب؟.
- **فقل له:** الفرية على الله من الكلام والمنطق، أم لا؟
- **فإن قال:** نعم، **فقل:** من علم آدم الأسماء كلها؟
- **فإن قال:** الله، **فقل:** الكفر من الكلام؛ أم لا؟
- **فإن قال:** نعم، **فقل:** من أنطق الكافر؟
- **فإن قال:** الله، خصموا أنفسهم، لأن الشرك من النطق، ولو شاء الله لما أنطقهم به.

قلت: فإن قال: إن الرجل إن شاء فعل؛ وإن شاء لم يفعل، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب؛ وإن شاء لم يشرب؟.

قال: فقل له: هل حكم الله على بني إسرائيل أن يعبروا البحر؟! وقدر على فرعون الغرق؟ **فإن قال:** نعم، **قل له:** فهل يقع من فرعون أن لا يسير في طلب موسى؟! وأن لا يغرق هو وأصحابه؟! فإن قال: نعم، فقد كفر، وإن قال: لا، نقض قوله السابق.

(باب في القدر)[1]

قال حدثنا علي بن أحمد عن نصير بن يحيى قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال: أبو حنيفة رضي الله عنه: حدثنا حماد عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة؛ ثم علقة؛ ثم مضغة مثل ذلك؛ ثم يبعث الله إليه ملكا؛ يكتب عليه: رزقه؛ وأجله؛ وشقي؛ أم سعيد، والذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل عمل أهل النار؛ حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيموت؛ فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة؛ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيعمل بعمل أهل النار؛ فيموت؛ فيدخلها) (٢).

قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف؛ وينهى عن المنكر؛ فيتبعه على ذلك ناس؛ فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟!.

قال: لا.

---

[1] هذه العناوين من تحقيق الشيخ الكوثري –رحمه الله– تمت المحافظة عليها في جميع ما سيأتي.

[2] رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

قلت: ولم؟ وقد أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بالأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر، وهذا فريضة واجبة؟!.

فقال: هو كذلك؛ ولكن ما يفسدون من ذلك؛ يكون أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء؛ واستحلال المحارم؛ وانتهاب الأموال. وقد قال الله تعالى:

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الآخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ..(٩) [سورة الحجرات].

قلت: فنقاتل الفئة الباغية بالسيف؟

قال: نعم؛ تأمر وتنهى، فإن قبل وإلا قاتلتها، فتكون مع الفئة العادلة، وإن كان الإمام جائرا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا يضركم جور من جار؛ ولا عدل من عدل، لكم أجركم؛ وعليه وزره).**

قلت له: ما تقول في الخوارج المحكمة؟.

قال: هم أخبث الخوارج.

قلت له: أتكفرهم؟!.

قال: لا، ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير: علي وعمر بن عبد العزيز -رضي الله عنهما-.

قلت: فإن الخوارج يكبرون؛ ويصلون؛ ويتلون القرآن، أما تذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه حين دخل مسجد دمشق؛ فإذا فيه رؤوس ناس من الخوارج؛ فقال لأبي غالب الحمصي: يا أبا غالب! هؤلاء ناس من أهل أرضك؛ فأحببت أن أعرفك من هؤلاء؟ هؤلاء كلاب أهل النار، وهم شر قتلى تحت أديم السماء، وأبو أمامة في ذلك يبكي، فقال أبو غالب: يا أبا أمامة! ما الذي يبكيك؟ إنهم كانوا مسلمين، وأنت تقول لهم: ما أسمع؟ قال: هؤلاء يقول الله تعالى فيهم:

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون(١٠٦) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون(١٠٧) [سورة آل عمران].

- **قال له:** أشيئ تقوله برأيك؟! أم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

- **قال:** إني لو لم أسمعه منه إلا مرة؛ أو مرتين؛ أو ثلاث مرات؛ إلى سبع؛ لما حدثتكموه، فكفر الخوارج كفر النعم، كفر بما أنعم الله تعالى عليهم.

قلت: الخوارج إذا خرجوا؛ وحاربوا؛ وأغاروا؛ ثم صالحوا، هل يتبعون بما فعلوا؟.

قال: لا غرامة عليهم؛ بعد سكون الحرب، ولا حد عليهم؛ والدم كذلك لا قصاص فيه.

قلت: ولم ذلك؟!.

قال: للحديث الذي جاء أنه لما وقعت الفتنة؛ بين الناس؛ في قتل عثمان رضي الله عنه؛ فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم؛ على أن من أصاب دما بتأويل؛ فلا قود عليه، ومن أصاب فرجا حراما بتأويل؛ فلا حد عليه، ومن أصاب مالا بتأويل؛ فلا تبعة عليه؛ إلا أن يوجد المال بعينه فيرده إلى صاحبه.

قلت: قال قائل: لا أعرف الكافر كافرا ؟!.

قال: **هو مثله.**

قلت: فإن قال: لا أدري أين مصير الكافر؟!

قال: **هو جاحد لكتاب الله تعالى؛ وهو كافر.**

قلت له: وما تقول لو أن رجلا قيل له: أمؤمن أنت؟ قال: الله أعلم؟!.

قال: هو شاك في إيمانه.

قلت: فهل بين الكفر والإيمان منزلة؛ إلا النفاق، وهو أحد الثلاثة: إما مؤمن؛ أو كافر؛ أو منافق؟!.

قال: لا، ليس بمنافق من يشك في إيمانه.

قلت: لم ؟!

قال: لحديث صاحب معاذ بن جبل؛ وابن مسعود، **حدثني**(١) حماد عن حارث بن مالك وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري فلما حضره الموت بكى؛ قال معاذ: ما الذي يبكيك يا حارث؟ قال: ما يبكيني موتك؛ قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى؛ لكن من المعلم بعدك؟ ويروى: من العالم بعدك؟ قال: مهلا؛ وعليك بعبد الله بن مسعود، فقال له: فأوصني؛ فأوصاه بما شاء الله ثم قال: احذر زلة العالم، فمات معاذ، وقدم الحارث الكوفة؛ إلى أصحاب عبد الله بن مسعود؛ فنودي بالصلاة؛ فقال الحارث: قوموا إلى هذه الدعوة، حق لكل مؤمن سمعه أن يجيبه، فنظروا إليه؛ وقالوا: إنك لمؤمن،

قال: نعم إني لمؤمن، فتغامزوا به، فلما خرج عبد الله قيل له ذلك،

فقال للحارث: مثل قولهم؛ فنكس الحارث رأسه وبكى؛ وقال: رحم الله معاذا؛ فأخبر به ابن مسعود، فقال له: إنك لمؤمن؛ قال: نعم؛ قال: فتقول إنك من أهل الجنة، قال: رحم الله معاذا؛ فإنه أوصاني أن أحذر زلة العالم؛ والأخذ بحكم المنافق، قال: فهل من زلة رأيت؟ قال: نشدتك بالله! أليس النبي صلى الله عليه وسلم كان والناس يومئذ على ثلاث فرق:

مؤمن في السر والعلانية؛ وكافر في السر والعلانية؛ ومنافق في السر ومؤمن في العلانية؛ فمن أي ثلاث أنت؟

قال: أما أنا فإذ ناشدتني بالله فإني مؤمن في السر والعلانية.

قال: فلم لمتني حيث قلت: إني لمؤمن؟!

---

(١) هكذا يكون الإمام المجتهد المطلق إماما في الرواية فيروي ما سمع عند احتياجه للدليل، فيقول حدثني ويروي سنده، وأما أن يقول أخرجه فلان أو فلان فهو ليس بإمام وإنما حافظا لما روى.

قال: أجل هذه زلتي؛ فادفنوها علي، فرحم الله معاذا.

قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فمن قال: إني من أهل الجنة؟

قال: كذب؛ لا علم له. قال: والمؤمن من يدخل الجنة بالإيمان؛ ويعذب في النار بالأحداث.

قلت: فإن قال: إنه من أهل النار؟!

قال: كذب؛ لا علم له؛ قد يأس من رحمة الله تعالى.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: ينبغي أن يقول: أنا مؤمن حقا، لأنه لا يشك في إيمانه.

قلت: أيكون إيمانه كإيمان الملائكة؟!

قال: نعم.

قلت: وإن قصر عمله؛ فإنه مؤمن حقا؟!.

قال: فحدثني حديث حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (كيف أصبحت؟)، قال: أصبحت مؤمنا حقا.

قال: (انظر ما تقول؟! فإن لكل حق حقيقة؛ فما حقيقة إيمانك؟)

فقال: عزفت نفسي عن الدنيا؛ حتى أظمأت نهاري؛ وأسهرت ليلي، فكأني انظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني انظر إلى أهل النار حين يتعادون فيها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصبت فالزم، أصبت فالزم)، ثم قال: (من سره أن ينظر إلى رجل نور الله تعالى قلبه؛ فلينظر إلى حارثة).

ثم قال: يا رسول الله! ادع الله لي بالشهادة؛ فدعا له بها؛ فاستشهد".

قلت: فما بال أقوام يقولون: لا يدخل المؤمن النار؟!.

قال: لا يدخل النار إلا كل مؤمن.

قلت: والكافر؟!.

قال: هم يؤمنون يومئذٍ.

قلت: وكيف ذلك؟!

قال: لقوله تعالى (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ(٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ..(٨٥) [سورة غافر] الآية

قال أبو حنيفة رحمه الله: من قتل نفساً بغير حق؛ أو سرق؛ أو قطع الطريق؛ أو فَجَرَ؛ أو فسقَ؛ أو زنى؛ أو شرب الخمر؛ أو سكر؛ **فهو مؤمن فاسق**، وليس بكافر، وإنما يعذبهم بالأحداث في النار؛ ويخرجهم منها بالإيمان.

قال أبو حنيفة رحمه الله: من آمن بجميع ما يؤمن به؛ إلا أنه قال: لا أعرف: موسى؛ وعيسى؛ أَمُرْسَلان هُمَا؟ أم غير مرسلين؟ فهو كافر، ومن قال: لا أدري الكافر أهو في الجنة أم في النار؟ فهو كافر[١]، لقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ..(٣٦) [سورة فاطر]؛ وقال: (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ(١٠) [سورة البروج]؛

وقال الله تعالى: (..وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ(١٦) [سورة الشورى].

قال أبو حنيفة رحمه الله: بلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم.

قلت: فأخبرني عمن يؤمن: ولا يصلي؛ ولا يصوم؛ ولا يعمل شيئاً من هذه

---

[١]) من عجائب تناقضات هذا العصر، تكفير المسلم، وصبغة الكافر بالإيمان نحو اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم باسم الاخوة الإنسانية، حتى أصبحت الخطة تمييع أخطر قضية في العقيدة ألا وهي الإيمان والكفر، لذا وجب إظهار وتبيان صفات الكافر والمنافق كما ورد في القرآن والسنة فلا يجوز وصفهما بالإيمان، كما لا يجوز تكفير مسلم بعينه إلا بعد تبيان وتمحيص وتنبيه وإقامة الحجة، أو تبيان أن من اعتقد بمكفر أو فعل مكفراً فهو كافر على طريقة العموم للتنبيه والتحذير.

الأعمال؛ هل يغني إيمانه شيئا ؟!.

قال: هو في مشيئة الله تعالى: إن شاء عذبه؛ وإن شاء رحمه. **وقال:** من لم يجحد شيئا من كتابه؛ فهو مؤمن.

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثني بعض أهل العلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ لما قدم مدينة حمص؛ اجتمعوا إليه؛ وسأله شاب فقال: ما تقول فيمن يصلي؛ ويصوم؛ ويحج البيت؛ ويجاهد في سبيل الله تعالى؛ ويعتق؛ ويؤدي زكاته؛ غير أنه يشك في الله تعالى ورسوله؟! قال: هذا له النار.

قال: فما تقول: فيمن لا يصلي؛ ولا يصوم؛ ولا يحج؛ ولا يؤدي زكاته؛ غير أنه مؤمن بالله تعالى ورسوله؟!.

قال: أرجو له؛ وأخاف عليه.

فقال الفتى: يا أبا عبد الرحمن! كما أنه لا ينفع مع الشك عمل؛ فكذلك لايضر مع الإيمان شيء، ثم مضى الفتى، فقال معاذ: ليس في هذا الوادي أفقه من هذا الفتى.

قال أبو حنيفة: فقاتل أهل البغي بالبغي؛ لا بالكفر، وكن مع الفئة العادلة والسلطان الجائر، ولاتكن مع أهل البغي، فإن كان في أهل الجماعة فاسدون ظالمون، فإن فيهم أيضا صالحون يعينونك عليهم، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم؛ واخرج إلى غيرهم، **قال الله تعالى:**

(.. ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها..(٩٧) [سورة النساء].

وقال أيضا: (إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون(٥٦) [سورة العنكبوت].

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا ظهرت المعاصي في أرض؛ فلم تطق أن تغيرها؛ فتحول عنها إلى غيرها؛ فاعبد بها ربك).**

وقال: حدثني بعض أهل العلم عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها، إلى أرض لا يخافها فيها، كتب الله**

له أجر سبعين صديقا).

قال أبو حنيفة: من قال: أنا لا أعرف ربي في السماء؟ أو في الأرض؟.

فقال: كفر؛ وكذا من قال: إنه على العرش؛ ولا أدري العرش أهو في السماء أو في الأرض. والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء.

وعليه ما روي في الحديث أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال له: وجب علي عتق رقبة مؤمنة، أفتجزئ هذه؛ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "أمؤمنة أنت؟" فقالت: نعم. فقال: "أين الله؟"، أشارت إلى السماء. فقال: "إعتقها؛ فإنها مؤمنة" ([1])

---

[1]) يفسر هذا الحديث ما أسنده ابن قدامة في كتابه (إثبات صفة العلو:٥٠): حدثنا عمران بن خالد بن طليق حدثني أبي عن أبيه عن جده قال:

اختلفت قريش إلى الحصين أبي عمران فقالوا: إن هذا الرجل يذكر آلهتنا، فنحن نحب أن تكلمه وتعظه، فمشوا معه إلى قريب من باب النبي صلى الله عليه وسلم قال: فجلسوا ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أوسعوا للشيخ)، فأوسعوا له، وعمران وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون.

فقال حصين: ما هذا الذي يبلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك جفنه وخبزا؟!.

فقال صلى الله عليه وسلم: (يا حصين! إن أبي وأباك في النار، **كم إلها تعبد اليوم؟**.

قال: **سبعة في الأرض، وإلها في السماء.**

قال: (فإذا أصابك الضيق فمن تدعو؟).

قال: الذي في السماء.

قال: (فإذا هلك المال فمن تدعو؟).

قال: الذي في السماء.

قال أبو حنيفة: من قال: لا أعرف عذاب القبر؛ فهو من الجهمية الهالكة؛ لأنه أنكر قوله تعالى: (..سنعذبهم مرتين ..(١٠١) [سورة التوبة] يعني عذاب القبر، وقوله تعالى: (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ..(٤٧) [سورة الطور] يعني في القبر.

فإن قال: أومن بالآية، ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها؟

قال: هو كافر؛ لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله، فإن جحد بها فقد كفر.

قال أبو حنيفة رحمه الله:

قال: (فيستجيب لك وحده وتشركهم معه!)، قال: (أما رضيته -أو كلمة نحوها- أو تخاف أن يغلب عليك؟).

قال: لا واحدة من هاتين، وعرفت أني لم أكلم مثله.

فقال: (يا حصين! أسلم تسلم).

قال: إن لي قوما وعشيرة فماذا أقول لهم؟.

قال: (قل: اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وأستجيرك من شر نفسي، علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علما ينفعني)، فقالها، فلم يقم حتى أسلم، فوثب عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بكى، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: (مما صنع عمران دخل حصين وهو مشرك فلم يقم إليه ولم يلتفت إلى ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك رقة)، فلما أراد أن ينصرف حصين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قوموا فشيعوه إلى منزله)، فلما خرج من سدة الباب نظرت إليه قريش فقالت: صبأ، وتفرقوا عنه).

فثبت أن العرب كانت تشرك مع الله عبادة الأصنام وهذا لا يجهله أحد، فسؤال الرسول ﷺ للجارية لإقرارها هل تشرك مع الله عبادة الأصنام؟ أم تؤمن بالله تعالى؟ وليس لإثبات أن الله محصور في السماء، وقد قال ابن تيمية رحمه الله في الرسالة التدمرية بكفر من اعتقد أن الله محصور في السماء، فلم يبق من معنى السماء إلا العلو، والعلو في حق الله تعالى هو العلو المطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان. والله أعلم.

وسوف يأتي معنى قول الإمام أبي أبي حنيفة رحمه الله بعد قليل، وإنما قال أبو حنيفة بكفر من قال: لا أدري، لأنه أثبت لله مكانا وهو لا يدري هذا المكان، والعياذ بالله تعالى.

١ - **حدثني** رجل عن المنهال بن عمر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(شرار أمتي يقولون: إنا في الجنة دون النار)**.

٢ - **وحدثت** عن أبي ظبيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ويل للمتألين من أمتي)**.

قيل: يا رسول الله! ومن المتألون؟

قال: **(الذين يقولون: فلان في الجنة؛ وفلان في النار)**.

٣ - **وحدثت** عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا تقولوا: أمتي في الجنة؛ ولا في النار؛ دعوهم؛ حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة).

٤ - **قال: وحدثني** أبان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يقول الله عز وجل:**

(لا تنزلوا عبادي جنة ولا نارا؛ حتى أكون أنا الذي أحكم فيهم يوم القيامة؛ وأنزلهم منازلهم).

قلت: فأخبرني عن القاتل؛ والصلاة خلفه؟

فقال: الصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة؛ فلك أجرك؛ وعليه وزره.

قلت: أخبرني عن هؤلاء الذين يخرجون على الناس بسيوفهم؛ فيقاتلون وينالون منهم.

قال: هم أصناف شتى؛ وكلهم في النار. **قال:** روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(افترقت بنو إسرائيل اثنتين وسبعين فرقة؛ وستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة؛ كلهم في النار إلا السواد الأعظم).

قال: وحدثني حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قـــال: قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من أحدث حدثا في الإسلام؛ فقد هلك، ومن ابتدع بدعة؛ فقد ضل، ومن ضـــل؛ ففي النار).

حدثنا ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ! علمني.

قال: (فاذهب فتعلم القرآن)؛ ثلاثا.

ثم قال له في الرابعة: (اقبل الحق ممن جاءك به: حبيبا كان أو بغيضـــا، وتعلـــم القرآن؛ ومل معه حيث مال).

قال: وحدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: (إن شر الأمور محدثاتها؛ وكل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة؛ وكل ضلالة في النار).

وقال الله تعالى:(**فألهمها فجورها وتقواها** (٨) [سورة الشمس].

وقال لموسى:(.. فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري(٨٥) [سورة طه].

(باب المشيئة)

قلت: هل أمر الله تعالى بشيء؛ ولم يشأ خلقه، وشاء شيئا؛ ولم يأمر به وخلقه؟!

قال: نعم.

قلت: فما ذاك؟

قال: أمر الكافر بالإسلام؛ ولم يشأ خلقه، وشاء الكفر للكافر؛ ولم يأمر به وخلقه.

قلت: هل رضي الله شيئا ولم يأمر به؟!.

قال: نعم؛ كالعبادات النافلة.

قلت: هل أمر الله تعالى بشيء؛ ولم يرض به ؟!

قال: لا.

قلت: لم؟

قال: لأن كل شيء أمر به؛ فقد رضيه.

قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى؟! أو على ما لا يرضى؟!

قال: يعذبهم الله على مالا يرضى؛ لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي؛ ولا يرضى بها.

قلت: فيعذبهم على ما يشاء؟ أو على مالا يشاء؟

قال: بل يعذبهم على ما يشاء لهم؛ لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي؛ وشاء للكافر الكفر؛ وللعاصي المعصية.

قلت: هل أمرهم بالإسلام ثم شاء لهم الكفر؟

قال: نعم.

قلت: سبقت مشيئته أمره؟! أو سبق أمره مشيئته ؟.

قال: سبقت مشيئته أمره.

قلت: فمشيئة الله رضى له أم لا ؟.

قال: هو لله رضى ممن عمل بمشيئته؛ وبرضاه وطاعته فيما أمر به، ومن عمل خلاف ما أمر به؛ فقد عمل بمشيئته؛ ولم يعمل برضاه، لكن عمل معصيته؛ ومعصيته غير رضاه.

قلت: يعذب العباد على ما يرضى ؟!.

قال: يعذبهم على ما لا يرضى من الكفر؛ ولكن يرضى أن يعذبهم؛ وينتقم منهم؛ بتركهم الطاعة؛ وأخذهم بالمعصية.

قلت: شاء الله للمؤمنين الكفر ؟!

قال: لا؛ ولكن شاء للمؤمنين الإيمان، كما شاء للكافرين الكفر؛ وكما شاء لأصحاب الزنى الزنى؛ وكما شاء لأصحاب السرقة السرقة؛ وكما شاء لأصحاب العلم العلم؛ وكما شاء لأصحاب الخير الخير، لأن الله تعالى شاء للكفار قبل أن

يخلقهم أن يكونوا كفارا ضلالا.

قلت: يعذب الله الكفار على ما يرضى أن يخلق؟! أم على مالا يرضى أن يخلق؟!

قال: بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق.

قلت: لم؟!

قال: لأنه يعذبهم على الكفر؛ ورضي أن يخلق الكفر، ولم يرض الكفر بعينه.

قلت: قال الله تعالى:(..ولا يرضى لعباده الكفر ..(٧) [سورة الزمر] فكيف يرضى أن يخلق الكفر؟!.

قال: يشاء لهم؛ ولا يرضى به.

قلت: لم؟!.

قال: لأنه خلق إبليس؛ فرضي أن يخلق إبليس؛ ولم يرض نفس إبليس. وكذلك الخمر والخنازير؛ فرضي أن يخلقهن؛ ولم يرض أنفسهن.

قلت: لم ؟!.

قال: لأنه لو رضي الخمر بعينها؛ لكان من شربها فقد شرب ما رضى الله، ولكنه لا يرضى الخمر؛ ولا الكفر؛ ولا إبليس؛ ولا أفعاله، ولكنه رضي محمدا صلى الله عليه وسلم.

قلت: أرأيت اليهود حيث قالوا: (.. يد الله مغلولة غلت أيديهم ..(٦٤) [سورة المائدة] أرضي الله لهم أن يقولوا ذلك؟!

قال: لا.

(باب آخر في المشيئة)

قال: إذا قيل له: أرأيت لو شاء الله أن يخلق الخلق كلهم مطيعين؛ مثل الملائكة؛ هل كان قادرا؟ فإن قال: لا؛ فقد وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه، لقوله تعالى:

(وهو القاهر فوق عباده ..(٦١) [سورة الأنعام].

ولقوله تعالى: (.. هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ..(٦٥) [سورة الأنعام].

فإن قال: هو قادر، فقل: أرأيت لو شاء الله أن يكون إبليس؛ مثل جبريل في الطاعة؛ أما كان قادرا؟

فإن قال: لا؛ فقد ترك قوله؛ ووصف الله تعالى بغير صفته.

فإن قال: لو أنه زنى؛ أو شرب؛ أو قذف؛ أليس هو بمشيئة الله؟ **قيل:** نعم.

فإن قال: فلم تجر عليه الحدود؟ **قيل:** لا يترك ما أمر الله به؛ لأنه لو قطع غلامه: كان بمشيئة الله؛ وذمه الناس، ولو أعتقه حمدوه عليه، وكلاهما وجدا بمشيئة الله تعالى؛ وقد عمل بمشيئة الله تعالى؛ لكن من عمل بمشيئته المعصية؛ فإنه ليس بها رضا؛ ولا عدل في فعله.

وقوله: فلم تجر عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصلهم؛ لأنهم لا يثبتون مشيئة الله تعالى في كثير من المعاصي، فلا تلزمه الحدود إلا على فعله، مثل: شرب الخمر، وقد فعلها جميعا بمشيئة الله تعالى.

(باب الرد على من يكفر بالذنب)

قلت: أرأيت لو أن رجلا قال: من أذنب ذنبا؛ فهو كافر، ما النقض عليه؟!

فقال: يقال له:

قال الله تعالى:(وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين(٨٧) [سورة الأنبياء] فهو ظالم مؤمن؛ وليس بكافر؛ ولا منافق.

وأخوة يوسف قالوا: (.. يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خـــاطئين(٩٧) [سورة يوسف] وكانوا مذنبين؛ لا كافرين.

وقال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام: (ليغفر لك الله ما تقـــدم مــن ذنبك وما تأخر ..(٢) [سورة الفتح] ولم يقل: من كفرك.

وموسى حين قتل الرجل؛ كان في قتله مذنبا؛ لا كافرا.

قال: وإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى؛ **يقال:**

قال الله تعالى: (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين ءامنـــوا صلوا عليه وسلموا تسليما**(٥٦) [سورة الأحـــزاب] فإن كنت مؤمنا؛ فصل عليه، وإن كنت غير مؤمن؛ فلا تصل عليه.

- وقال الله تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعــــة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ..(٩) [سورة الجمعة].

قال معاذ رضي الله عنه: من شك في الله؛ فإن ذلك يبطل جميع حســـناته؛ ومـــن آمن وتعاطى المعاصي: يرجى له المغفرة؛ ويخاف عليه العقوبة.

قال السائل لمعاذ رضي الله عنه: إذا كان الشك يهدم الحسنات؛ فإن الإيمان أهدم وأهدم للسيئات؟!

قال معاذ رضي الله عنه: والله ما رأيت رجلا؛ أعجب من هذا الرجـــل؛ يســأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: قولك لا أدري؛ أعدل أم جور؟!

فإن قال: عدل، فقل: أرأيت ما كان في الدنيا عدلا؛ أليس في الآخرة عدلا؟

فإن قال: نعم. فقل: أتؤمن بعذاب القبر؛ ونكير؛ وبالقدر؛ خيره وشـــره مــن الله تعالى؟ فإن قال: نعم. فقل له: أمؤمن أنت؟

فإن قال: لا أدري. فقل له: لا دريت؛ ولا فهمت؛ ولا أفلحت.

قلت: ومن قال: إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين. فقل له: هما شـــيء؛ أو ليســتا بشيء؟

وقد قال الله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر(٤٩) [سورة القمر]؛

وقال تعالى: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ..(٤٦) [سورة غافر].

فإن قال: إنهما تفنيان. فقل له: وصف الله نعيمهما بقوله: **(لا مقطوعة ولا ممنوعة(٣٣)** [سورة الواقعة].

ومن قال: هما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما؛ فقد كفر بالله تعالى؛ لأنه أنكر الخلود فيهما.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه: صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى؛ ولا يقال: غضبه: عقوبته؛ ورضاه: ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه:

أحد؛ صمد (لم يلد ولم يولد(٣) ولم يكن له كفوا أحد(٤) [سورة الإخلاص].

حي؛ قيوم؛ قادر؛ سميع؛ بصير؛ عالم؛ (..يد الله فوق أيديهم..(١٠) [سورة الفتح] ليست كأيدي خلقه؛ وليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالق النفوس: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(١١) [سورة الشورى].

قلت: أرأيت لو قيل: أين الله تعالى؟

قال: يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين؛ ولا خلق؛ ولا شيء، وهو خالق كل شيء.

فإن قيل: بأي شيء شاء المشيئ؟ **فقل:** بالصفة، وهو قادر يقدر بالقدرة؛ وعالم يعلم بالعلم؛ ومالك يملك بالملك.

فإن قيل: أشاء بالمشيئة؛ وقدر بالمشيئة؛ وشاء بالعلم؟ فقل: نعم.

(باب في الإيمان)

فإن قيل: أين مستقر الإيمان؟. **يقال:** معدنه ومستقره القلب، وفرعه في الجسد، **فإن قيل:** هو في أصابعك؟ **فقل:** نعم. **فإن قيل:** فإن قطعت؛ فأين يذهب الإيمان منها؟ **قال:** فقل إلى القلب.

فإن قال: هل يطلب الله من العباد شيئا؟ **فقل:** لا؛ إنما هم يطلبون منه.

فإن قال: ما حق الله تعالى عليهم؟ **فقل:** أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه أن يغفر لهم؛ ويثيبهم عليه، فإن الله تعالى يرضى عن المؤمنين لقوله تعالى:

(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ..(١٨) [سورة الفتح]؛ يسخط على إبليس.

ومعنى قوله تعالى:(..اعملوا ما شئتم ..(٤٠) [سورة فصلت] فهو وعيد منه.

وقوله تعالى: (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ..(١٧) [سورة فصلت] أي بصرناهم وبينا لهم.

وقوله تعالى: (.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..(٢٩) [سورة الكهف] فهو وعيد.

وقوله تعالى:(وما خلقت الجن والآنس إلا ليعبدون(٥٦) [سورة الذاريات] أي ليوحدوني، ولكن كلها بتقدير الله تعالى خيرها وشرها؛ حلوها ومرها؛ وضرها ونفعها.

وقال الله تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأ رض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين(٩٩) [سورة يونس]؛

وقال الله تعالى: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل

شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ..) (١١١) [سورة الأنعام].

وقال تعالى: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله..)(١٠٠) [سورة يونس].

وقال تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين..(١١٨) إلا من رحم ربك ..) (١١٩) [سورة هود] أي بمشيئته، (..ولذلك خلقهم..(١١٨) [سورة هود].

وقال تعالى: (.. اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ..(٣٦) [سورة النحل].

وقال تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله ..(٢٩) [سورة التكوير] أي بقدر الله سبحانه.

وقال شعيب صلوات الله على نبينا وعليه:

(قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين(٨٩) [سورة الأعراف].

وقال نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

(ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون(٣٤) [سورة هود].

وقال تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين(٢٤) [سورة يوسف].

وقال تعالى: (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب(٣٤) [سورة ص]. والله أعلم.

***

الرسالة الثالثة

رسالة العالم والمتعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة العالم والمتعلم

قال أبو الحسن علي بن خليل الدمشقي المعروف بابن قاضي العسكر: أنبأنا أبو الحسن برهان الدين علي بن حسن البلخي، عن أبي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي، عن أبيه، عن عبد الكريم بن موسى البزدوي، عن أبي منصور محمد الماتريدي، عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، عن أبي سليمان موسى الجوزجاني، وعن محمد بن مقاتل الرازي، كلاهما عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي؛ وعصام بن يوسف البلخي، وهما عن أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي، عن الإمام أبي حنيفة رحمهم الله تعالى، فيما أجابه عن أسئلته، أنه قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى عباد الله الصالحين، أما بعد:

أوصيك بتقوى الله وطاعته، وكفى بالله حسيبا وجازيا، ورزقنا الله حياة طيبة؛ ومنقلبا كريما، وقد أجبتك فيما سألت عنه.

ولولا كراهية التطويل؛ وأن يكثر لك التفسير؛ شرحت لك الأمور التي أجبتك بها، ثم لا آلوك ونفسي خيرا؛ والله المستعان؛ وعليه التكلان.

قال المتعلم: -وهو أبو مقاتل- أتيتك أيها العالم -وهو أبو حنيفة-: لأنتفع بمجالستك؛ لما أتيقن من فضلك، وأرجو أن ينفعني الله تعالى بك؛ فأفتني عافاك الله إن أنا سألتك، لتستحق بذلك الثواب من الله سبحانه، إني ابتليت بأصناف من الناس، وسألوني عن أشياء لم أهتد لجوابها، ولم أترك الحق الذي يبدي، وإن عجزت عن جوابهم، وعرفت أن للحق من يعبر عنه، وليس الحق بمنقوض؛ والباطل مزهوق به، وكرهت أيضا لنفسي الجهالة بأصل الدين، وما أنتحل من الحق، وأن تكون منزلتي؛ في أصل ما أدعي؛ كمنزلة الصبي المتعلم؛ الذي لا علم له؛ بأصل ما يتكلم

به، أو كمنزلة المبرسم المجنون؛ الذي يهذي؛ بما ينقض على نفسه؛ ويشين به نفسه، فأحببت أصلحك الله؛ أن أكون عالما؛ بأصل ما أنتحل من الحق، وأتكلم به؛ حتى إذا جاءني مارد يتمرد علي، أو يريد أن يزيلني عن الحق؛ لم يطق، وإن جاءني عـــالم متعلم أوضحت له، وأكون على بصيرة من أمري.

وقال العالم: نعم ما رأيت في ابتحاثك عما يغنيك، واعلم أن العمل تبع للعلم؛ كما أن الأعضاء تبع للبصر، فالعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثـــير، ومثل ذلك الزاد القليل الذي لابد منه؛ في المفازة مع الهداية بها أنفع من الجهالة مع الزاد الكثير، ولذلك قال الله تعالى:

(.. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..(٩) [سورة الزمر]؛ و **(إنمـــا يتذكر أولو الألباب(٩)** [سورة الزمر].

قال المتعلم: لقد زدتني في طلب العلم رغبة، فأما قول الأصناف فـــإني ســـأبدأ بأدناهم منزلة عندي إن شاء الله تعالى، فأخبرني بـــالحجج عليـــهم، رأيـــت أقوامـــا يقولون: لا تدخلن هذه المداخل؛ فإن أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا في شيء من هذه الأمور، وقد يسعك ما وسعهم؛ وإن هؤلاء زادوني غما، ووجدت مثلهم: كمثل رجل؛ في نهر عظيم؛ كثير الماء؛ كـــاد أن يغـــرق مـــن قبـــل جهلـــه بالمخاضة؛ فيقول له آخر: اثبت مكانك؛ ولا تطلبن المخاضة.

قال العالم رحمه الله: أراك قد أبصرت بعض عيوبهم، والحجة عليهم، ولكن قل لهم إذا قالوا: ألا يسعك ما وسع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟؛ بلى يسعني ما وسعهم؛ لو كنت بمنزلتهم، وليس بحضرتي مثل الذي كان بحضرتهم، وقـــد ابتلينـــا بمن يطعن علينا؛ ويستحل الدماء منا، فلا يسعنا أن لا نعلـــم مـــن المخطـــئ منـــا والمصيب؟ وأن لا نذب عن أنفسنا وحرمنا، فمثل أصحاب النبي صلـــى الله عليـــه وسلم؛ كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم؛ فلا يتكلفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمـــن

يطعن علينا؛ ويستحل الدماء منا، مع أن الرجل؛ إذا كف لسانه عن الكلام؛ فيما اختلف فيه الناس؛ وقد سمع ذلك؛ لم يطق أن يكف قلبه، لأنه لابد للقلب أن يكره أحد الأمرين؛ أو الأمرين جميعا، فإما أن يحبهما؛ وهما مختلفان، فهذا لا يكون، فإذا مال القلب إلى الجور؛ أحب أهله، وإذا أحب القوم كان منهم، وإذا مال القلب إلى الحق وأهله؛ كان لهم وليا، وذلك بأن تحقيق الأعمال والكلام؛ لا يكون إلا من قبل القلب، وذلك لأن من آمن بلسانه؛ ولم يؤمن بقلبه؛ لم يكن عند الله مؤمنا، ومن آمن بقلبه؛ ولم يتكلم بلسانه؛ كان عند الله مؤمنا.

قال المتعلم: هو كما قلت، ولكن بين لي: هل يضرني إذا لم أعرف المخطئ من المصيب؟!

قال العالم رحمه الله: لا يضرك في خصلة؛ ويضرك بعد في خصال غير واحدة، فأما الخصلة التي لا تضرك؛ فإنها أنك لا تؤاخذ بعمل المخطئ، وأما الخصال التي تضرك:

فواحدة منها: اسم الجهالة؛ يقع عليك؛ لأنك لا تعرف الخطأ من الصواب.

والثانية: عسى أن ينزل بك من الشبه؛ ما نزل بغيرك؛ ولا تدري ما المخرج منها؛ لأنك لا تدري أمصيب أنت أم مخطئ؟ فلا تنزع عنها.

والثالثة: لا تدري من تحب في الله؛ ومن تبغض فيه؛ لأنك لا تدري المخطئ؛ من المصيب.

قال المتعلم: لقد كشفت عني الغطاء؛ وجعلت أرى البركة في مذاكرتك، ولكن أرأيت إن كان رجل يصف عدلا؛ ولا يعرف جور من يخالف ولا عدله، أيسعه ذاك؟ وأن يقال: إنه عارف بالحق؛ أو هو من أهله؟!

قال العالم رحمه الله: إذا وصف عدلا، ولا يعرف جور من يخالفه؛ فإنه جاهل بالجور والعدل.

واعلم يا أخي! إن أجهل الأصناف كلها؛ وأردأهم منزلة عندي لهؤلاء، لأن مثلهم

كمثل أربعة نفر: يؤتون بثوب أبيض؛ فيسألون جميعا عن لون ذلك الثوب؟

فيقول واحد من هؤلاء الأربعة: هذا ثوب أحمر، ويقول الآخر: هذا ثوب أصفر، ويقول ثالث: هذا ثوب أسود، ويقول رابع: هذا ثوب أبيض؛ فيقال له: ما تقول في هؤلاء الثلاثة؟ أصابوا أم أخطأوا؟

فيقول: أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض؛ وعسى أن يكون هؤلاء قد صدقوا، وكذلك هذا الصنف من الناس يقولون: إنا نعلم أن الزاني ليس بكافر؛ وعسى أن يكون الذين يرون: أن الزاني إذا زنى نزع منه الإيمان؛ كما ينزع السربال؛ كان صادقا؛ ولا نكذبه.

ويقولون: إن مات ولم يحج؛ فقد أطاق الحج؛ فنحن نسميه مؤمنا؛ ونصلي عليه؛ ونستغفر له؛ ونقضي عنه حجه؛ ولا نكذب من يقول: مات يهوديا أو نصرانيا، ينكرون قول الشيعة؛ ويقولون قولهم، وينكرون قول الخوارج؛ ويقولون قولهم. وينكرون قول المرجئة؛ ويقولون قولهم، ويرون تحقيق ذلك؛ وتزييف أقوال هؤلاء الأصناف الثلاثة، ويروون في ذلك روايات؛ يزعمون أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قالها.

وقد علمنا: إن الله عز وجل؛ إنما بعث رسوله رحمة؛ ليجمع به الفرقة، وليزيد الألفة. ولم يبعثه ليفرق الكلمة، يحرش المسلمين بعضهم على بعض، ويزعمون أنه إنما جاء الاختلاف بهذه الروايات؛ لأن منها ناسخا ومنسوخا، فنحن نروي كما سمعناه، فويح لهم؛ ما أقل اهتمامهم؛ بأمر عاقبتهم، حيث ينتصبون للناس؛ فيحدثونهم بما قد علموا أن بعضه منسوخ، **والعمل بالمنسوخ اليوم ضلالة**. فيأخذ به الناس فيضلون، وقد نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليفسر الآية الواحدة على نوعين، فما كان من القرآن ناسخا؛ فسره لجميع الناس ناسخا، وكذلك المنسوخ؛ فسره لجميع الناس منسوخا. **وأما الأخبار والصفات التي قد كانت؛ فإنه ليس في**

شيء منها منسوخ، وإنما دخل الناسخ والمنسوخ في الأمر والنهي.

قال المتعلم: جزاك الله عني الجنة، فنعم المعلم أنت؛ فإنك فتحت لي بابا من العلم؛ لم أكن لأهتدي له، وقد بينت لي من أقاويل هؤلاء القوم؛ ما لا أبالي أن لا أزداد بصيرة في ضعف قولهم؛ وعجز رأيهم.

ولكن أخبرني بالرد على الصنف الثاني في قولهم: إن دين الله كثير، وهو العمل بجميع ما افترض الله؛ والكف عن جميع ما حرم الله؟!.

قال العالم رضي الله عنه: ألست تعلم أن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لم يكونوا على أديان مختلفة، ولم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي كان قبله؛ لأن دينهم كان واحدا. وكان كل رسول يدعو إلى شريعة نفسه؛ وينهى عن شريعة الرسول الذي قبله؛ لأن شرائعهم كثيرة مختلفة. ولذلك قال الله تعالى:

(.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ..(٤٨) [سورة المائدة]. وأوصاهم جميعا بإقامة الدين؛ وهو التوحيد، وأن لا يتفرقوا لأنه جعل دينهم واحدا، فقال:

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ..(١٣) [سورة الشورى].

وقال سبحانه: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون(٢٥) [سورة الأنبياء].

وقال جل وعلا: (.. لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ..(٣٠) [سورة الروم]. أي: لا تبديل لدينه. فالدين لم يبدل؛ ولم يحول؛ ولم يغير. والشرائع قد بدلت وغيرت؛ لأنه رب شيء قد كان حلالا لقوم؛ حرمه الله عز وجل على الآخرين. ورب أمر أمر الله به أناسا؛ ونهى عنه آخرين. فالشرائع كثيرة مختلفة. والشرائع: هي الفرائض؛ مع أنه لو كان العمل بجميع ما أمر الله به؛ والكف عن جميع ما نهى الله

عنه دينه؛ لكان كل من ترك شيئا؛ مما أمر الله تعالى به؛ أو ركب شيئا مما نهى الله عنه؛ تاركا لدينه وكان كافرا. وإذا صار كافرا؛ ذهب الذي بينه وبين المسلمين من: المناكحة؛ والموارثة؛ واتباع الجنائز؛ وأكل الذبائح؛ وأشباه هـذا، لأن الله تعالى؛ أوجب ذلك كله بين المؤمنين؛ من أجل الإيمان الذي به حرم الله تعالى: دماؤهم؛ وأموالهم؛ إلا بحدث. وإنما أمر الله تعالى المؤمنين بالفرائض؛ بعدما أقروا بالدين؛ فقال تعالى: (قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلاة ..(٣١) [سورة إبراهيم].

وقال تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص ..(١٧٨) [سورة البقرة].

وقال: (يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله ..(٤١) [سورة الأحزاب] وأشباه هذا. فلو كانت هذه الفرائض هي الإيمان؛ لم يسمهم مؤمنين؛ حتى يعملوا بها؛ وقد فصل الله تعالى الإيمان من العمل فقال تعالى:

(.. الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ..(٢٥) [سورة البقرة].

وقال (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ..(١١٢) [سورة البقرة] أي مع إيمانه.

وقال: (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ..ا(١٩) [سورة الإسراء] فجعل الإيمان غير العمل. فالمؤمنون من قبل إيمانهم بالله: يصلون؛ ويزكون؛ ويصومون؛ ويحجون؛ ويذكرون الله. وليس من قبل: صلاتهم؛ وزكاتهم؛ وصومهم؛ وحجهم؛ بالله يؤمنون. **وذلك لأنهم آمنوا ثم عملوا**؛ فكان عملهم بالفرائض؛ من قبل إيمانهم بالله، ولم يكن إيمانهم من قبل عملهم بالفرائض.

ومثل ذلك: أن الرجل إذا كان عليه الدين؛ وهو يقر بالدين؛ ثم يؤدي. وليس يؤدي ثم يقر بالدين، وليس إقراره من قبل أدائه؛ ولكن أداؤه من قبل إقراره. والعبيد من قبل إقرارهم لمواليهم بالعبودية يعملون لهم، وليس من قبل عملهم يقرون لهم بالعبودية. وذلك أنه كم من إنسان يعمل لآخر؛ ولا يكون بذلك مقرا له بالعبودية، ولا يقع عليه اسم الإقرار بالعبودية، وآخر قد يكون مقرا بالعبودية ولا يعمل، فلا

يذهب عنه اسم إقراره بالعبودية.

قال المتعلم: لحسن ما فسرت، **ولكن أخبرني ما الإيمان؟**

قال العالم رضي الله عنه: الإيمان هو: التصديق؛ والمعرفة؛ واليقين؛ والإقرار والإسلام، والناس في التصديق على ثلاثة منازل:

فمنهم من يصدق بالله؛ وبما جاء منه؛ بقلبه ولسانه.

ومنهم من يصدق بلسانه؛ ويكذب بقلبه.

ومنهم من يصدق بقلبه؛ ويكذب بلسانه.

قال المتعلم: لقد فتحت لي مسألة لم أهتد إليها، فأخبرني عن أهل هذه المنازل الثلاثة: أهم عند الله مؤمنون؟

قال العالم رحمه الله: من صدق بالله؛ وبما جاء من عند الله: بقلبه؛ ولسانه؛ فهو عند الله وعند الناس مؤمن.

ومن صدق بلسانه؛ وكذب بقلبه؛ كان عند الله كافرا؛ وعند الناس مؤمنا، لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه، وعليهم أن يسمونه مؤمنا؛ بما ظهر لهم من الإقرار بهذه الشهادة، وليس لهم أن يتكلفوا علم ما في القلوب.

ومنهم من يكون عند الله مؤمنا؛ وعند الناس كافرا، وذلك بأن الرجل يكون مؤمنا بالله؛ ويظهر الكفر في حالة التقية بلسانه؛ فيسميه من لا يعرف إنه يتقي؛ كافرا؛ وهو عند الله مؤمن.

قال المتعلم: لقد وضحت عدلا، ولكن أراك قد كثرت الإيمان في قولك: إن الإيمان هو: التصديق؛ والمعرفة؛ والإقرار؛ والإسلام؛ واليقين.

قال العالم رحمه الله: أصلحك الله! لا تكونن منك العجلة، وتثبت في الفتيا؛ إن أنكرت شيئا مما أذكره لك؛ فسل عن تفسيره إن كنت مناصحا. فرب كلمة يسمعها الإنسان فيكرهها؛ فإذا أخبر بتفسيرها رضي بها. ولا تكونن كالذي يسمع الكلمة فيكرهها؛ ثم يتفوه بها؛ إرادة الشين فيذيعها بين الناس. ولا يقول عسى أن يكون لهذه

الكلمة تفسير؛ ووجه هو عدل؛ ولا أعلمه؛ أفلا أسأل صاحبي عن تفسيرها؟ أو لعلها كلمة جرت على لسانه؛ ولم يتعمد بها فينبغي لي أن أتثبت؛ ولا أفضح صاحبي؛ ولا أشينه؛ حتى أعلم ما وجه كلامه.

قال المتعلم: ثبتك الله ووفقك؛ وأدام لك صالح الذي أعطاك؛ قد عرفت الذي قلت، فلا تؤاخذني بالذي كان مني؛ إني متعلم. ولكن أخبرني عما وصفت من: التصديق؛ والمعرفة؛ والإقرار؛ والإسلام؛ واليقين؛ ما منزلتهن؛ وتفسيرهن عندك؟

قال العالم رحمه الله: إن هذه أسماء مختلفة؛ ومعناها واحد هو الإيمان وحده؛ وذلك بأن: يقر بأن الله ربه؛ ويصدق بأن الله ربه؛ ويتيقن بأن الله ربه؛ ويعرف بأن الله ربه؛ فهذه أسماء مختلفة؛ ومعناها واحد. كالرجل يقال له: يا إنسان؛ ويا رجل؛ ويا فلان، وإنما يعني القائل بها واحدا، وقد دعاه بأسماء مختلفة.

قال المتعلم: رحمك الله لولا ما أعرف من نفسي: من قلة العلم؛ وعجز الرأي؛ لم أقصد إليك. فإن رأيت مني ما تكره؛ ودخلت عليك مؤونة؛ فلا تلمني. فإن مؤونة معالجة مرض المريض على الطبيب، ومؤونة عمى الأعمى على البصير، كذلك ينبغي للعالم أن يتحمل مؤونة الجاهل، وقد عرفت أن من الكلام كلاما؛ يفزع منه الجاهل إذا سمعه؛ فإذا فسر له اطمأن، ولحسن ما فسرت الإيمان والتصديق واليقين والإخلاص. ولكن أخبرني من أين ينبغي لنا أن نقول: إن إيماننا مثل إيمان الملائكة والرسل؟! وقد نعلم إنهم كانوا أطوع لله عز وجل منا؟!.

قال العالم رضي الله عنه: قد علمت إنهم كانوا أطوع لله منا؛ وقد حدثتك إن الإيمان غير العمل؛ فإيماننا مثل إيمانهم: لأنا صدقنا بوحدانية الرب؛ وربوبيته؛ وقدرته؛ وبما جاء من عنده؛ بمثل: ما أقرت به الملائكة؛ وصدقت به الأنبياء والرسل؛ فمن ها هنا زعمنا أن إيماننا مثل إيمان الملائكة؛ لأننا آمنا بكل شيء آمنت به الملائكة؛ مما عاينته الملائكة من آيات الله؛ ولم نعاينه نحن.

قال المتعلم: جعلك الله من الفائزين؛ ما أحسن ما وصفت! وقد عرفت الآن أن إيماننا مثل إيمان الملائكة؛ وتصديقنا مثل تصديقهم؛ ويقيننا مثل يقينهم. ولكن أخبرني من أين هم أشد خوفا وأطوع لله منا؟ ومن أين قالت الجهال: إذا رأوا من إنسان زلة؛ أو جزعا عند مصيبة؛ أو جبنا من عدو؛ أو حرصا على الهوى؛ هذا من ضعف اليقين؟!.

قال العالم رحمه الله: أما قول الجهال: هذا من ضعف اليقين؛ فإنما قالوا ذلك لجهالتهم بتفسير اليقين. **واليقين بالشيء: هو العلم بالشيء؛ حتى لا يشك فيه؛** فليس أحد من أهل الشهادة: أن يشك في الله؛ وكتبه؛ ورسله، وإن ركب ما ركب، وإنما نقيس أمر الناس بأمر أنفسنا، لأنه ربما كانت منا الزلة؛ والجزع عند المصيبة؛ أو الجبن من عدو؛ فلا يدخل علينا شك في الله؛ ولا في شيء مما جاء من عند الله؛ فغيرنا عندنا بمنزلة أنفسنا. وأما قولك: من أين هم أشد خوفا؛ أو أطوع لله منا؟ فذلك لخصال:

فواحدة منها: أنهم كما فضلوا بالنبوة والرسالة؛ فضلوا كذلك بالخوف؛ والرغبة وجميع مكارم الأخلاق؛ على من سواهم.

والخصلة الأخرى: إنهم عاينوا من الملائكة؛ والعجائب؛ ما لم نعاين.

والخصلة الثالثة: إنهم كانوا لا يجزعون عند المصيبة.

والرابعة: إنهم كانوا يعاينون ما ينزل بغيرهم من العقوبة على المعصية، وكان ذلك أيضا مما يحجزهم عن المعاصي.

قال المتعلم: لقد وقفت على ما وصفت، فلم تزل تصف عدلا؛ وتقول عرفا. ولكن أحب أن تأتيني بقياس فيما وصفت من يقيننا ويقينهم؛ وخوفنا وخوفهم؛ وجرأتنا وجرأتهم؛ كيف ذلك؟ فإن الجاهل إذا كان متهما بأمر عاقبته؛ ويريد أن يتعلم؛ ووصفت له أمرا لم يفطن له؛ فأثبته بقياس؛ كان أجدر أن يفطن له.

قال العالم رحمه الله: نعم ما رأيت في طلب القياس، وهكذا يصنع من أراد أن

ينتفع بالمذاكرة؛ فيما بينه وبين صاحبه؛ إذا لم يعرف ما قيل له؛ التمس القياس.

واعلم أن القياس: الصواب يحقق لطالب الحق حقه، ومثل القياس؛ مثل الشهود العدول؛ لصاحب الحق؛ على ما يدعي من الحق، ولولا إنكار الجهال للحق؛ لم يتكلف العلماء القياس والمقايسة.

فأما ما طلبت من القياس في أن يقيننا ويقين الملائكة واحد؛ وخوفهم أشد من خوفنا؛ بأنه كيف يكون ذلك؟ فأخبرك إن القياس بذلك:

كرجلين عالمين بالسباحة؛ لا يفوق أحدهما صاحبه في شيء من الأمور، فانتهيا إلى نهر كثير الماء؛ شديد الجرية؛ فأحدهما على دخوله أجرأ؛ والآخر أجبن.

أو كرجلين بهما مرض واحد؛ وأتيا بدواء واحد؛ شديد المرارة؛ فأحدهما على شربه أجرأ؛ والآخر أجبن.

قال المتعلم: لحسن ما فسرت، ولكن أخبرني إن كان إيماننا مثل إيمان الرسل؛ أليس ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم؟ فإن كان ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم؛ فما فضلهم علينا؟ وقد استوينا في الدنيا بالإيمان؛ واستوينا في الآخرة في ثواب الإيمان. فإن كان ثواب إيماننا دون ثواب إيمانهم؛ أليس هذا ظلما؟ إذ كان إيماننا مثل إيمانهم، ولم يجعل لنا من الثواب ما جعل لهم؟.

قال العالم رضي الله عنه: لقد أعظمت المسألة، ولكن تثبت في الفتيا، ألست تعلم أن إيماننا مثل إيمانهم، لأنا آمنا بكل شيء آمنت به الرسل؟ ولهم بعد علينا الفضل في الثواب على الإيمان؛ وجميع العبادة. لأن الله كما فضلهم بالنبوة على الناس، كذلك فضل: كلامهم؛ وصلاتهم؛ وبيوتهم؛ ومساكنهم؛ وجميع أمورهم على غيرها من الأشياء، ولم يظلمنا ربنا؛ إذ لم يجعل ثوابنا مثل ثوابهم، وذلك أنه كان إنما يكون الظلم لو نقصنا حقنا؛ فأسخطنا. فأما إذا زاد أولئك؛ ولم ينقصنا حقنا؛ وأعطانا حتى أرضانا، فإن ذلك ليس بظلم، والأنبياء والرسل لهم الفضل في الدنيا على جميع

الناس. لأنهم القادة، وهم أمناء الرحمن، ولا يدانيهم أحد من الناس في: عبادتهم؛ وخوفهم؛ وخشوعهم؛ وتحملهم المؤونات في ذات الله تعالى؛ وكذلك إنما أدرك الناس بإذن الله الفضل بهم. فلهم مثل أجور من يدخل الجنة بدعائهم.

قال المتعلم: لقد وصفت العدل؛ فأوضحت؛ فجزاك الله الجنة، ولكن أخبرني هل تعلم من المعاصي شيئا يعذب الله عليه (البتة) غير الشرك؟ أو تزعم إنها كلها مغفورة؟ فإن زعمت أن بعضها مغفورة؛ فما المغفور منها؟!

قال العالم رضي الله عنه: ما أعلم شيئا من المعاصي يعذب الله عنه غير الشرك، وما أستطيع الشهادة على أحد؛ من أهل المعاصي؛ من أهل القبلة؛ أن الله يعذبه البتة عليها؛ غير الإشراك بالله. وقد علمت أن بعضها مغفور، ولا أعرفها؛ لقول الله تعالى:

(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم..(٣١) [سورة النساء]، فلست أعرف جميع الكبائر؛ ولا السيئات التي تغفر؛ والتي لا تغفر؛ لأني لا أدري لعل الله يغفر مادون الشرك من المعاصي كلها؛ لأنه قال:

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ..(٤٨) [سورة النساء]. فلست أدري لمن يشاء المغفرة منهم؛ ولمن لا يشاء.

قال المتعلم: ألست تدري أنه لعل الله يغفر للقاتل؟ ويعذب صاحب النظرة؟ أو ليسا عندك بمنزلة واحدة في الرجاء لهما؟!

قال العالم رحمه الله: قد أعلم أنه إن كان الله يغفر للقاتل؛ فإن صاحب النظرة أجدر أن يغفر له، وإن عذب على النظرة؛ فهو على القتل أجدر أن يعذب، لأنه تعالى قال: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..(١٣) [سورة الحجرات]، وصاحب النظرة إذا لم يقتل كان أتقى من القاتل، وأما ما ذكرت من الرجاء لهما؛ فإنهما لا يستويان عندي؛ لأني لصاحب الذنب الصغير أرجى مني لصاحب الذنب الكبير، والقياس في ذلك:

رجلان ركب أحدهما البحر؛ والآخر ركب نهرا صغيرا، وأنا أتخوف عليهما الغرق، وأرجو لهما النجاة جميعا؛ غير أني على صاحب البحر أخوف أن يغرق؛ مني على صاحب النهر الصغير، وأنا لصاحب النهر الصغير؛ أرجى بالنجاة مني لصاحب البحر، وكذلك أنا على صاحب الذنب الكبير؛ أخوف مني لصاحب الذنب الصغير، وأنا لصاحب الذنب الصغير؛ أرجى مني لصاحب الذنب الكبير؛ وأنا في ذلك أرجو لهما؛ وأخاف عليهما؛ على قدر أعمالهما.

قال المتعلم: ما أحسن ما تقيس! ولكن أخبرني عن الاستغفار لصاحب الكبيرة أفضل؛ أو الدعاء عليه؛ أو أنت بالخيار فيما بين الدعاء عليه باللعنة، والاستغفار فبين لي هذا كله؟.

قال العالم رضي الله عنه: الذنب على منزلتين؛ غير الإشراك بالله تعالى؛ فأي الذنبين ركب هذا العبد؛ فإن الدعاء له بالاستغفار أفضل، وإن دعوت عليه باللعنة لم تأثم، وذلك بأنه إذا ركب ذنبا منك؛ وعفوت عنه؛ ولم تدع عليه؛ كان أفضل؛ وإذا ركب ذنبا؛ فيما بينه وبين خالقه؛ بعد أن كان لم يشرك بالله؛ فرحمته؛ ودعوت له بالمغفرة؛ لحرمة الشهادة؛ كان هذا أفضل؛ وإن دعوت عليه بالهلاك لم تأثم؛ وذلك بأنك تقول يارب خذه بذنبه؛ وإنما تكون آثما إذا أنت قلت: يارب خذه بغير ذنب؛ فالاستغفار أفضل لخصلتين:

أما إحداهما: فلأنه مؤمن.

والأخرى: لأنك لا تستيقن أن الله معذبه، ولو استيقنت أن الله معذبه؛ لكان حراما عليك الاستغفار له؛ وقد نهى الله عز وجل أن يستغفر لمن أوجب له النار، والذي يستغفر الله لمن قال الله: إنه يعذبه؛ فيسأل ربه أن يخلف قوله، كالذي يقول: يا رب لا تمتني واحدة، وقد قال الله عز وجل: (كل نفس ذائقة الموت ..(١٨٥) [سورة آل عمران].

فالدعاء لأهل هذه الشهادة بالمغفرة أفضل؛ لحرمة هذه الشهادة والإقرار بها، لأنه ليس شيء يطاع الله فيه أفضل من الإقرار بهذه الشهادة، وجميع ما أمر الله تعالى به من فرائضه في جنب الإقرار بهذه الشهادة؛ أصغر من البيضة في جنب السموات السبع؛ والأرضين السبع وما بينهن، فكما أن ذنب الإشراك أعظم؛ كذلك أجر الشهادة أعظم، وقد ذكر الله عز وجل في تعظيم ذنب الإشراك ما لم يذكره في تعظيم شيء من الأعمال السيئة؛ فإنه قال: (..إن الشرك لظلم عظيم(١٣) [سورة لقمان] ولم يقل مثل ذلك في شيء من الأعمال السيئة.

وقال تعالى: (..ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق(٣١) [سورة الحج].

وقال تعالى: (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا(٩٠) أن دعوا للرحمن ولدا(٩١) [سورة مريم] ولم يقل شيئا من هذه الآيات في القتل وما هو دونه.

قال المتعلم: ما تزيدني إلا رغبة في مذاكرتك؛ فجزاك الله عن جميع المؤمنين خيرا؛ ما أحسن: قولك؛ ورأيك؛ وسيرتك؛ في محسنهم ومسيئهم!، وأعرفك بفضلهم؛ وأرحمك بهم! ولكن أخبرني هل يفضل أهل العدل بعضهم بعضا في قولهم في أهل القبلة؟.

قال العالم رضي الله عنه: أما أهل العدل: فقولهم في تعظيم حرمات الله واحد؛ غير أن بعضهم أفضل من بعض: في العلم؛ والحجج في تعظيم حرمات الله تعالى؛ والدعاء إليه؛ وتحمل المؤونات فيه؛ وشدة الاهتمام بفساد الأمة؛ والبحث عن تعظيم حرماتهم؛ والذب عنهم، كمثل عسكر بحضرة العدو، وقد اجتمعت كلمتهم وأيديهم على عدوهم؛ غير أن بعضهم يفوق بعضا: في العلم بالقتال والحروب والمكايدة؛ وبذل السلاح والمال؛ والتحريض للأصحاب على القتال.

قال المتعلم: لعمري ما أعرف من القياس (أوضح من هذا)، ولكن أخبرني هل

يكون المؤمن إذا ارتكب الكبائر لله عدوا؟.

قال العالم رضي الله عنه: إن المؤمن لا يكـون لله عـدوا؛ وإن ركـب جميـع الذنوب؛ بعد أن لا يدع التوحيد، وذلك بأن العدو يبغض عـدوه، ويتنـاول عـدوه بالمنقصة، والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنب، ولله مع ذلك أحب إليه مما سـواه، وذلك أنه لو خير بين أن يحرق بالنار؛ أو يفتري على الله من قلبه؛ لكان الإحـراق بالنار أحب إليه من ذلك.

قال المتعلم: إن كان الله أحب إليه مما سواه! فلم يعصيه؟! وهل يكون أحد يحب أحدا فيعصيه فيما يأمره؟!.

قال العالم رحمه الله: نعم قد يحب الولد والده وربما عصاه، وهذا المؤمـن: الله أحب إليه مما سواه وإن عصاه، وإنما يعصيه لأن الشهوة ظاهرة غالبة، وإنما تغلب عليه الشهوات؛ فإنه ربما كان الرجل عاملا لسلطان؛ فينزع عـن عملـه؛ فيعـذب بأنواع من العذاب؛ ثم إذا ترك رجع إلى عمله؛ إن قدر عليه، والمرأة تلقى ما تلقـى في نفاسها؛ ثم إذا قامت؛ طلبت الولد.

قال المتعلم: قلت ما يعرف من غلبته الشهوة؛ لأنه كم من عابد صرعته الشهوة؛ وآدم وداود عليهما السلام منهم ([1])، ولكن أخبرني عـن هـذا المؤمـن أيركـب المعصية؟! وهو يعلم أنه يعذب عليها؟!.

قال العالم رحمه الله: ما يركبها وهو يعلم أنـه يعـذب عليـها؛ لكنـه يركبـها لخصلتين:

- **أما إحداهما:** فإنه يرجو المغفرة.
- **وأما الأخرى:** فإنه يأمل التوبة قبل المرض والموت.

([1]) هكذا في الأصل؛ ولو كان المتعلم يترك هذا لكان أنسب في اعتقاد عصمة الأنبياء قالـه الكوثري رحمه الله.

قال المتعلم: أو يقدم الرجل على ما يخاف أن يعذب عليه؟!

قال العالم رضي الله عنه: نعم؛ ربما يقدم الرجل على ما يخاف أن يضره من طعام؛ أو شراب؛ أو قتال؛ أو ركوب بحر، ولولا ما يرجوه من النجاة من الغرق إذا ركب البحر، والظفر إذا قاتل؛ ما أقدم على القتال؛ ولا ركب البحر.

قال المتعلم: قد صدقت؛ لأني أعرف من نفسي؛ أني ربما أكلت الطعام يؤذيني؛ فإذا فرغت ندمت؛ ووطنت نفسي على ألا أعود إليه، فإذا رأيته؛ لم أصبر عنه، ولك أن تخبرني عن الكفر؛ فإن الكفر له اسم؛ وله تفسير؟!.

قال العالم رحمه الله: إن الكفر له اسم؛ وله تفسير؛ وتفسيره: هو الإنكار والجحود والتكذيب، وذلك أن الكفر بالعربية، والعرب وضعوا اسم الكفر على: الإنكار؛ والله تعالى إنما أنزل الكتاب بلسان عربي، ومثل ذلك أنه إذا كان للرجل على آخر دراهم؛ وقد حلت؛ فتقاضاها، فإن أقر بالحق؛ ولم يقضه، قال صاحبه: ماطلني؛ ولا يقول كافرني، وإن هو أنكرها وجحدها؛ قال: كافرني؛ ولم يقل: ماطلني، وكذلك المؤمن؛ إذا ترك فريضة من غير أن يكفر بها سمي: مسيئا؛ وإن تركها كفرا بها سمي: كافرا جاحدا بفرائض الله تعالى.

قال المتعلم رحمه الله: هذا عدل معروف، أن يسمى الرجل جاحدا بما يجحد، ومصدقا بما يصدق، ومسيئا بما يسيء، ومحسنا بما يحسن. ولكن أخبرني عمن يصف التوحيد؛ غير أنه يقول: أنا كافر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

قال العالم رضي الله عنه: هذا لا يكون؛ وإن كان سميناه: كافرا بالله؛ كاذبا بما يقول: إنه يعرف الله تعالى. ويستدل على كفره بالله؛ بكفره بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن من كفر بالله؛ كفر بمحمد. وليس من قبل كفره بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ كفره بالله.

كما أن النصارى من كفرهم بالواحد؛ الذي ليس له ولد؛ زعموا أن الله تعالى ثالث ثلاثة.

وكذلك اليهود مِن كُفْرهم بالغني الذي لا يفتقر؛ والجواد الذي لا يبخل؛ والرب الذي ليس له ولد؛ والملك الذي ليس له شهيد؛ زعموا: أن الله فقير؛ ويد الله مغلولة؛ وعُزَيْرٌ ابن الله؛ والله تعالى على مثال صورة ابن آدم.

وكذلك الذين اتخذوا النيران؛ وسجدوا للشمس والقمر. وقد قال الله تعالى: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ(٤٧) [سورة العنكبوت].

وقال: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥) [سورة النساء] فمن زعم أنه يعرف الله؛ ويكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم استدللنا على إنكاره للرب بكفره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومثل ذلك لو أن رجلاً؛ زعم أنه يطيق أن يحمل عشرين قفيزاً. ونحن نراه يعجز عن حمل القفيزين، عرفنا أنه إذ عجز عن حمل القفيزين؛ فهو في العشرين أعجز.

ومثل هذا لو أن رجلاً قال: إني أعرف أن الله تعالى حق؛ غير أني لا أقر أن هذا الإنسان مخلوقه؛ لعرفنا أنه كاذب فيما يزعم؛ لأنه لو كان يعرف الله؛ لعرف أن كل شيء سواه مخلوقه.

ومثل ذلك رجل؛ بحوزته السراج ونار ضخمة؛ وهما عنده بمنزلة واحدة في الدنو؛ فزعم أنه يُبصر السراج؛ ولا يبصر النار المشتعلة في الحطب الضخم؛ لعرفت أنه كاذب؛ لأنه لو كان يبصر السراج؛ لكان لتلك النار الضخمة أبصر.

قال المتعلم رحمه الله: قد فرجت عني؛ ولكن أخبرني عمّن يزعم لرسول الله أنا أعرف أنك رسول الله؛ ولكن أشتهي أن أقتلك؟!.

قال العالم رضي الله عنه: هذه من مسائل المتعنتين، وهذا محال، لو كان يعرف أنه رسول الله؛ لم يشته قتله ولا موته ولا أذاه.

ومثل ذلك كالرجل الذي يزعم لآخر: إنك أحب إلي من جميع الناس، ولكن

أشتهي: أن أقتلك بيدي؛ وآكل لحمك.

وليس أحد من الناس يزعم أنه يوحد الله تعالى؛ ويؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم **ويتناول رسول الله بمنقصة**؛ كأن يزعم: إنه كان أعرابياً؛ وكان فقيراً؛ يريد به عيبه وانتقاصه، فلو كان يعرف الله؛ ويعرف أن محمداً رسوله، لكان الله ورسوله أجل في عينيه؛ من أن يتناول رسوله بذكر شيء؛ يريد به عيبه وانتقاصه، وقد قال الله عز وجل في تعظيم منزلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٨٠) [سورة النساء].

لأنه جعل الرسول قائداً لجميع خلقه؛ من الجن والإنس. وأميناً على فرائضه وسننه، ولذلك قال الله تعالى:

(..وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ..(٧) [سورة الحشر].

قال المتعلم رحمه الله: لقد أتيتني بالنور؛ فَنَوَّر الله طريقك يوم القيامة. ولكن أخبرني عمّن يزعم أنه يعرف الله؛ ويقول: أنا أشتهي أن أزعم أن لله ولداً؟!.

قال العالم رضي الله عنه: سبحان الله! فهل كان هذا؛ وذا إلا واحداً. هذا وأشباه ما سألت من قبل؛ من مسائل المتعنتين، ولكن كيف تقول: في ميت إنه يحتلم؟! فكما لا يكون ميت يحتلم. فكذلك لا يكون موحد يشتهي أن يقول لله ولد.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمري كما قلت: إنه من مسائل المتعنتين، وهذا محال من الكلام. ولكن أخبرني عن النفاق اليوم؟ أليس هو النفاق الأول، والكفر اليوم هو الكفر الأول؟ وكيف النفاق الأول؟.

قال العالم رضي الله عنه: نعم النفاق اليوم هو النفاق الأول، والكفر اليوم هو الكفر الأول، كما إن الإسلام اليوم هو الإسلام الأول. فأخبرك عن ذلك النفاق الأول: إنما كان التكذيب والجحود بالقلب؛ ولإظهار التصديق باللسان. وكذلك هو اليوم فيمن كان، وقد نعتهم عز وجل في كتابه فقال: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ..(١) [سورة المنافقون] فقال الله عز وجل رداً عليهم وتكذيباً لهم: (وَاللَّهُ

يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون(١) [سورة المنافقون].

وليس تكذيبهم بأن ما قالوا كذب، ولكن إنما كذبهم بأنهم ليسوا في الإقرار والتصديق كما يظهرون في ألسنتهم، وفيهم قال الله عز وجل:

(وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون(١٤) [سورة البقرة] أي بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؛ بما نظهر لهم بألسنتنا من الإقرار والتصديق.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمري عدل معروف، ولكن أخبرني من أين سمى الله الناس: مؤمنين وكفارا؟! ومن أين نحن نسميهم مؤمنين وكفارا؟!.

قال العالم رضي الله عنه: سماهم مؤمنين وكفارا بما في القلوب؛ لأنه تعالى يعلم ما في القلوب، ونحن نسميهم مؤمنين وكفارا بما يظهرون لنا من ألسنتهم: من التصديق والتكذيب؛ والزي؛ والعبادة، وذلك بأنا لو انتهينا إلى قوم لا نعرفهم؛ غير أنهم في المساجد، مستقبلين إلى القبلة يصلون، سميناهم مؤمنين، وسلمنا عليهم، وعسى أن يكونوا يهودا أو نصارى، وكذلك كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سلم؛ كان المسلمون يسمونهم مؤمنين؛ بما يظهرون لهم من الإقرار، وهم عند الله كفار بما في القلوب من التكذيب، فمن هاهنا زعمنا أنا نسمي أناسا مؤمنين؛ بما يظهر لنا منهم، وعسى أن يكونوا عند الله كفارا، وآخرين نسميهم كفارا، بما يظهرون لنا من زي الكفار؛ من غير أن يكون فيهم شيء من زي المؤمنين، وعسى أن يكونوا عند الله تعالى مؤمنين من قبل إيمانهم بالله، ويصلون من غير أن نعلم ذلك منهم، فلا يؤاخذنا الله سبحانه وتعالى بذلك، لأنه لم يكلفنا علم القلوب والسرائر، وإنما كلفنا ربنا أن نسمي الناس مؤمنين، ونحبهم ونبغضهم على ما يظهر لنا منهم، والله أعلم بالسرائر، وهكذا أمر الكرام الكاتبين أن يكتبوا ما يظهر لهم من الناس، وليسوا من القلوب بسبيل، لأن ما في

القلوب لا يعلمه أحد إلا الله؛ أو رسول يوحي إليه، فمن ادعى علم ما في القلوب بغير وحي؛ فقد ادعى علم رب العالمين، ومن زعم أنه يعلم بما في القلوب وغير القلوب؛ ما يعلم رب العالمين، فقد أتى بعظيمة، واستوجب النار والكفر.

قال المتعلم رحمه الله: قد وصفت العدل، ولكن أخبرني من أين جاء أصل الإرجاء؟ وما تفسيره؟ ومن الذي يؤخر أو يرجئ أمره؟.

قال العالم رحمه الله: جاء أصل الإرجاء من قبل الملائكة، حيث عرض الله عليهم الأسماء؛ ثم قال لهم: (.. أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ ..(٣١) [سورة البقرة].

فخافت الملائكة الخطأ؛ إن تكلموا بغير علم تعسفاً؛ فوقفت؛ وقالت:

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ..(٣٢) [سورة البقرة] ولم يبتدعوا.

كالرجل الذي يُسأل عن الأمر الذي هو به جاهل، فيتكلم فيه ولا يبالي، فإن لم يصب فهو مخطئ، وإن أصاب فهو غير محمود، لأنه قال تعسفاً بغير علم، ولذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله سلم:

(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ..(٣٦) [سورة الإسراء] أي لا تقل ما لم تعلمه يقيناً.

وقال: (.. إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً(٣٦) [سورة الإسراء].

فلم يرخص لرسول أن يتكلم أو يعادي أو يقذف إنساناً بالبهتان بالظن؛ من غير يقين، فكيف يصنع أناس يعادون ويعيبون آخرين، بالظن من غير يقين.

وتفسير الوقوف: أنه إذا سئلت عن أمر لا تعلمه: من حرام؛ أو حلال؛ أو أنباء من كان قبلنا؛ قلتَ: الله أعلم به، وإذا جاء ثلاثة نفر بحديث لا نعلمه، ولا نطيق علم ذلك بالتجارب والمقاييس؛ ترد علم ذلك إلى الله تعالى وتقف.

ومن تفسير الإرجاء: أنه إذا كنت في قوم على أمر حسن جميل؛ وفارقتهم على ذلك؛ ثم بلغك أنهم صاروا فريقين، يقاتل بعضهم بعضاً؛ فانتهيت إليهم، وهم على الأصل الذي فارقتهم عليه، وقتل بعضهم بعضاً؛ فتسألهم؟ فيقول كل واحد من

الفريقين: إنه هو المظلوم، وليس عليهم ولا لهم شهود من غيرهم، وقد ترى القتـــل بينهم؛ وليس المظلوم والظالم منهم ببيِّن، وهما خصمان لا تجوز شهادة بعضهم على بعض، فينبغي لك أن تعلم أنهما ليسا كلاهما مصيبين، وقد قتل بعضهم بعضاً، فإمـــا أن يكونا مخطئين من أهل الذنوب؛ ولا تقول: إنهم من أهل النار؛ أو من أهل الجنة؛

فإن الناس عندنا على ثلاثة منازل:

الأنبياء: من أهل الجنة؛ ومن قالت الأنبياء: إنه من أهل الجنة؛ فـــهو مـــن أهل الجنة.

والمنزلة الأخرى: للمشركين؛ نشهد عليهم إنهم من أهل النار.

والمنزلة الثالثة: للموحدين؛ نقف عليهم؛ فلا نشهد إنهم من أهل النار؛ ولا من أهل الجنة، ولكنا نرجو لهم؛ ونخاف عليهم، ونقول كما قال الله عز وجل:

(وَءاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٠٢) [سورة التوبة].

فنرجو لهم؛ لأن الله تعالى قال: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ..(٤٨) [سورة النساء]، ونخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم.

قال المتعلم رحمه الله: ما أعدل هذا القول وأبينه؛ وأقربه مـــن الحـــق، ولكـــن أخبرني هل أحد من الناس توجب له الجنة؛ إن رأيته صواماً قواماً غير الأنبياء؟!.

قال العالم رحمه الله: لا أُوجب الجنة إلا لمن أوجبه النص، وكذلك النار.

قال المتعلم رحمه الله: فما قولك في أناس رووا: (إن المؤمـــن إذا زنـــى خلـــع الإيمان من رأسه، كما يخلع القميص ثم إذا تاب أعيد إليه إيمانه)، أتشك في قولهم أو تصدقهم؟! فإن صدقت قولهم؛ دخلت في قول الخوارج؛ وإن شككـــت فـــي قولـــهم شككت في أمر الخوارج، ورجعت عن العدل الذي وصفت؛ وإن كذبت قولهم قالوا: أنت تكذب بقول نبي الله عليه الصلاة والسلام فإنهم رووا ذلك عن رجال حتى ينتهي

ذلك إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام؟!.

قال العالم رحمه الله: أكذب هؤلاء؛ ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردي عليهم تكذيباً للنبي صلى الله عليه وسلم، إنما يكون التكذيب لقول النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل: أنا مكذب لقول نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأما إذا قال الرجل: أنا مؤمن بكل شيء تكلم به النبي عليه الصلاة والسلام؛ غير أن النبي عليه الصلاة والسلام: لم يتكلم بالجور؛ ولم يخالف القرآن؛ فإن هذا القول منه هو التصديق: بالنبي؛ وبالقرآن؛ وتنزيه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي القرآن؛ وتقول على الله غير الحق؛ لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين، ويقطع م[UGCCW1]نه الوتين، كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ(٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(٤٧) [سورة الحاقة].

ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالف كتاب الله تعالى لا يكون نبي الله، وهذا الذي رووه خلاف القرآن؛ لأنه قال تعالى في القرآن:

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي..(٢) [سورة النور] ولم ينف عنهما اسم الإيمان.

وقال تعالى:(وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ..(١٦) [سورة النساء].

فقوله (مِنْكُمْ) لم يعن به اليهود والنصارى، وإنما عنى به المسلمين. فرد كل رجل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف القرآن؛ ليس رداً على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولا تكذيباً له، ولكن رداً على من يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالباطل، التهمة دخلت عليه، ليس على نبي الله، **وكذلك كل شيء تكلم به نبي الله عليه الصلاة والسلام: سمعناه أو لم نسمعه؛ فعلى الرأس والعين، وقد آمنا به؛ ونشهد أنه كما قال نبي الله، ونشهد أيضاً على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يأمر بشيء نهى الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصله الله، ولا وصف أمراً وصف الله ذلك الأمر بغير ما وصف به النبي، ونشهد أنه كان موافقاً لله في جميع الأمور. لم**

يبتدع؛ ولم يتقول على الله غير ما قال الله تعالى، ولا كان من المتكلفين. ولذا قال الله تعالى:

(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ..(٨٠) [سورة النساء].

قال المتعلم رحمه الله: لحسن ما فسرت. ولكن أخبرني عمن يزعم أنه شارب الخمر لا يقبل منه صلاة أربعين ليلة؛ أو أربعين يوماً؟!. وبين لي ما هذا الذي يبطل الحسنات ويهدمها؟!.

قال العالم رحمه الله: إني لست أدري تفسير الذين يقولون: إن الله لا يقبل من شارب الخمر صلاة أربعين ليلة أو أربعين يوماً، فلست أكذبهم ماداموا لا يفسرونه تفسيراً لا نعرفه مخالفاً للعدل. لأنا نعرف أن من عدل الله أن يأخذ العبد بما ركب من الذنب أو يعفو عنه، ولا يأخذه بما لم يرتكب من الذنب، وأن يحسب له ما أدى إليه من الفرائض؛ ويكتب عليه ذنبه.

ومثل ذلك لو أن رجلاً أدى من زكاة ماله خمسين درهماً، وقد كان عليه أكثر من ذلك؛ فإنما يؤاخذه الله بما لم يؤد؛ ويحسب له ما قد أدى.

وكذلك إذا صام وصلى وحج وقتل؛ فإنه يحسب له حسناته؛ ويكتب عليه سيئاته ولذلك قال الله عز وجل: (..لَهَا مَا كَسَبَتْ ..(٢٨٦) [سورة البقرة] يعني من الخير (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ..(٢٨٦) [سورة البقرة] يعني من الشر.

وقال: (..أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ..) [سورة آل عمران].

وقال: (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا(٣٠) [سورة الكهف].

وقال: (وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٥٤) [سورة يس].

وقال: (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(١٦) [سورة الطور].

وقال: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) [سورة الزلزلة].

وقال: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) [سورة القمر].

فهو سبحانه وتعالى يكتب الصغير من الحسنات؛ والسيئات. وقال تعالى:

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ(٤٧) [سورة الأنبياء].

فمن قال لا بهذا القول؛ فإنه يصف الله سبحانه وتعالى بالجور؛ وقد أمن الله الناس من الظلم حيث قال:

(فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا(٤٧) [سورة الصافات].

(وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٣٩) [سورة الصافات].

وقال: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨) [سورة الزلزلة].

وقد سمى نفسه شكوراً؛ لأنه يشكر الحسنة. وهو أرحم الراحمين.

وأما الحسنات فإنه لا يهدمها شيء؛ غير ثلاث خصال:

أما الواحدة: فالشرك بالله؛ لأن الله تعالى قال: (..وَمَنْ يَكْفُرْ بِالآيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ..(٥) [سورة المائدة].

والأخرى: أن يعمل الإنسان فيعتق نسماً؛ أو يصل رحماً؛ أو يتصدق بمال يريد بهذا كله وجه الله. ثم إذا غضب أو قال في غير الغضب امتناناً على صاحبه الذي كان المعروف منه إليه: ألم أعتق رقبتك؟ أو يقول لمن وصله: ألم أصلك؟ وفي أشباه هذا؛ يضرب به على رأسه. ولذلك قال الله تعالى: (.. لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالآذَى ..(٢٦٤) [سورة البقرة].

والثالثة: ما كان من عمل يرائي به الناس؛ فإن ذلك العمل الصالح الذي راءى به؛ لا يتقبله الله منه.

فما كان سوى هذا من السيئات؛ فإنه لا يهدم الحسنات.

قال المتعلم رحمه الله: لقد وصفت الذي هو العدل، ولكن أخبرني عمن يشهد

عليك بالكفر؛ ما شهادتك عليه؟!.

قال العالم رضي الله عنه: شهادتي عليه أنه كاذب؛ ولا أسميه بذلك كافراً؛ ولكن أسميه كاذباً. لأن الحرمة حرمتان:

- حرمة تنتهك من الله تعالى.
- وحرمة تنتهك من عبيد الله سبحانه.

فالحرمة التي تنتهك من الله عز وجل هي: الإشراك بالله؛ والتكذيب؛ والكفر.

والحرمة التي تنتهك من عبيد الله: فذلك ما يكون بينهم من المظالم. ولا ينبغي إن يكون الذي يكذب على الله وعلى رسوله كالذي يكذب عليَّ؛ لأن الذي يكذب على الله وعلى رسوله ذنبه أعظم؛ من أن لو كذب على جميع الناس، فالذي شهد علي بالكفر فهو عندي كاذب. ولا يحل لي أن أكذب عليه لكذبه عليّ، لأن الله تعالى قال:

(..وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى ألا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٨) [سورة المائدة]

قال: لا يحملنكم عداوة قوم؛ أن تتركوا العدل فيهم.

قال المتعلم رحمه الله: هذه صفة معروفة؛ ولكن كيف تقول: في رجل يشهد على نفسه بالكفر؟.

قال العالم رضي الله عنه: إني أقول ليس ينبغي لي أن أحقق كذبه على نفسه، وذلك لأنه لو قال لنفسه: إنه حمار؛ لا ينبغي أقول صدق؛ غير أنه إن قال: إنه بريء من الله؛ أو قال: لا أومن بالله؛ ولا برسوله؛ سميته كافراً؛ وإن سمى نفسه مؤمناً. وكذلك إذا وحَّد الله؛ وآمن بما جاء من عند الله؛ سميته مؤمناً؛ وإن سمى نفسه كافراً.

قال المتعلم رحمه الله: أراك فيه أحسن قولاً منه في نفسه، وأنت أحق بذلك. ولكن أخبرني أرأيت إن قال لي: إني بريء من دينك؛ أو مما تعبد؟!.

قال العالم رضي الله عنه: إن قال لي هذا لم أعجل؛ ولكني أسأله عند ذلك: أتبرأ من دين الله؟ أو تبرأ من الله؟ وأي القولين قاله: سميته كافراً مشركاً. فإن قال: لا أبرأ من الله؛ ولا أبرأ من دين الله؛ ولكن أبرأ من دينك؛ لأن دينك هو الكفر بالله؛ وأبرأ مما تعبد؛ لأنك تعبد الشيطان. فإني لا أسميه كافراً؛ لأنه إنما يكذب عليَّ.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمري هو قول أهل الورع والتثبت، ولكن أخـــبرني أليس من أطاع الشيطان، وطلب مرضاته؛ فهو كافر؛ وعابد الشيطان؟!.

قال العالم رضي الله عنه: أو علمت ما أردت بهذه المسألة؛ أن المؤمن إذا عصى الله تعالى؛ ليس يكون بمعصيته تلك مطيعاً للشيطان؛ طالباً لمرضاته؛ يتعمد ذلك وإن وافق عمله للشيطان طاعة ورضا.

قال المتعلم رحمه الله: أخبرني عن العبادة ما تفسيرها؟!

قال العالم رضي الله عنه: اسم العبادة: اسم جامع؛ يجتمع فيه الطاعة؛ والرغبة؛ والإقرار بالربوبية. وذلك انه إذا أطاع اللهَ العبدُ في الإيمان به، دخل عليه الرجـــاء والخوف من الله، فإذا دخل عليه هذه الخصال الثلاث؛ فقد عبده؛ ولا يكون مؤمنـــاً بغير رجاء ولا خوف، ولكنه رب مؤمن يكون خوفه من الله أشد، وآخر يكون خوفه أقل. وكذلك من أطاع رجاء ثوابه أو مخافة عقابه من دون الله؛ فقد عبده. ولو كان العمل في الطاعة وحدها في كل شيء عبادة؛ لكان كل من أطاع غير الله فقد عبده.

قال المتعلم رحمه الله: ما أحسن ما قلت. ولكن أخبرني أرأيت من خاف شيئاً أو رجا منفعة شيء؛ هل يدخل عليه الكفر؟!

قال العالم رضي الله عنه: الخوف والرجاء على منزلتين:

وإحدى المنزلتين: من كان يرجو أحداً أو يخافه، يرى أنه يملك له من دون الله ضراً أو نفعاً فهو كافر.

والمنزلة الأخرى: من كان يرجو أحداً أو يخافه. لرجائه الخير، أو مخافـــة البلاء من الله تعالى، عسى الله أن ينزل به على يدي آخر؛ أو من سبب شيء فـــإن

هذا لا يكون كافراً؛ لأن الوالد يرجو ولده أن ينفعه؛ ويرجو الرجل دابته أن تحمل له، ويرجو جاره أن يحسن إليه، ويرجو السلطان أن يدفع عنه، فلا يدخل عليه الكفر؛ لأنه إنما رجاؤه من الله أن يرزقه من ولده أو من جاره؛ ويشرب الدواء عسى الله أن ينفعه؛ فلا يكون كافراً، وقد يخاف الشر ويفر منه مخافة أن يبتليه الله به.

والقياس في ذلك موسى عليه الصلاة والسلام الذي اصطفاه الله برسالته وخصه بكلامه إياه؛ حيث لم يجعل بينه وبين موسى رسولاً قال:

(فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(٣٣) [سورة القصص].

وسيدنا محمد صلى اله عليه وسلم حيث فرَّ إلى الغار؛ فلم يدخل عليهم الكفر.

وكذلك أيضاً يخاف الرجل من السبع؛ أو الحية؛ أو العقرب؛ أو هدم؛ أو سيل؛ أو أذى طعام يأكله؛ أو شراب يشربه، فلا يدخل عليه الكفر؛ ولا الشك، ولكن إنما يدخله الجبن.

قال المتعلم رحمه الله: لقد قلت ما نعرف، ولكن أخبرني عن المؤمن ما شأنه؟ يهاب هذا المخلوق مالا يهاب الله؟!.

قال العالم رضي الله عنه: ليس شيء أهيب إلى المؤمن من الله، وذلك لأنه ينزل له المرض الشديد في جسمه؛ أو تنزل به المصيبة الموجعة من الله تعالى، فلا يقول في سر وعلانية: بئس ما صنعت يا رب! ولا يحدث نفسه في ذلك؛ ولا يزداد له إلا ذكراً، ولو نزل عشر عشير ذلك، من بعض ملوك الدنيا؛ لتناوله وجوره بقلبه ولسانه عند أهل ثقته، حيث لا يسمع ذلك الملك كلامه، فالمؤمن يراقب الله تعالى في السر والعلانية؛ وفي الحر والبرد، وملوك الدنيا لا يراقبون في السر والعلانية، ولا في الكره والرضا؛ ولأنه ربما أصابته الجنابة في ليلة باردة؛ فهو يقوم على كره منه حيث لا يعلم أحد ما نزل به غير الله تعالى؛ فيغتسل مخافة من الله، أو يصوم في

الحر الشديد؛ وقد أصابه الجهد الشديد من العطش، وليس بحضرته أحد؛ فهو يراقب الله تعالى؛ ويتبصر ولا يجزع لمخافته، والرجل إنما يهاب الملك مادام بحضرته، فإذا توارى عنه لم يهبه، فمن هاهنا عرفنا أنه ليس شيء بأهيب إلى المؤمن من الله تعالى.

قال المتعلم رحمه الله: قلت لعمري هذا ما نعرفه من أنفسنا، ولكن أخبرني عمن جهل الإيمان والكفر ما هو؟!.

قال العالم رضي الله عنه: إن الناس إنما يكونون مؤمنين: بمعرفتهم وتصديقهم بالرب جل وعلا. ويكونون كفاراً بإنكارهم بالرب تعالى. فأما إذا أقروا للرب بالعبودية؛ وصدقوا بوحدانيته؛ وبما جاء منه؛ ولم يعلموا ما اسم الإيمان؛ واسم الكفر؛ لا يكونون بعد هذا كفاراً؛ بعد أن علموا: أن الإيمان خير؛ والكفر شر، كالرجل الذي يؤتى بالعسل والصبر، فيذوق منهما؛ ويعلم أن العسل حلو، والصبر مر، من غير أن يعلم ما اسم العسل؟ وما اسم الصبر؟ ولا يقال له: جاهل بالحلاوة والمرارة؛ ولكن يقال له: إنه جاهل باسمهما، كذلك الذي لا يعلم ما اسم الإيمان والكفر، غير أنه يعلم أن الإيمان خير والكفر شر. فلا يقال له: إنه جاهل بالله ولكن يقال له: إنه جاهل باسم الإيمان والكفر.

قال المتعلم رحمه الله: أخبرني عن المؤمن إن عُذب هل ينفعه إيمانه؟! وهل يعذب بعد إيمانه؛ وفيه الإيمان؟!.

قال العالم رضي الله عنه: سألت عن مسائل لم تسأل مثلهن في مسألتك. وأنا أُفتيك فيهن إن شاء الله.

أما قولك: إن عُذب المؤمن فهل ينفعه إيمانه؟ وفيه الإيمان إن عذب؟! نعم؛ ينفعه إيمانه: لأنه يرفع عنه أشد العذاب. وأشد العذاب إنما يكون على الكافر؛ لأنه لا ذنب أعظم من الكفر. وهذا المؤمن لم يكفر بالله؛ ولكن عصاه في بعض ما أمر به فيعذب؛ إن عُذب على ما عمل. ولا يعذب على ما لم يعمل.

كالرجل الذي قتل؛ ولم يسرق؛ إنما يؤاخذ بالقتل. ولا يؤاخذ بالسرقة. وكذلك قال الله تعالى: (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(٣٣) [سورة الصافات].

والمريض كلما كان مرضه أقل كان أهون عليه.

والذي يعذب في الدنيا ويرفع عنه أشد العذاب، ويعذب بلون واحد؛ فهو أهون عليه من أن يُعذب بلونين. وكذلك المؤمن إن عذب على ذنب واحد؛ فهو أهون من أن يعذب على ذنبين.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمري ما نعرف من العدل، ولكن أخبرني من أين صار كفر الكفار واحداً؛ وعباداتهم كثيرة مختلفة؛ من حيث صار إيمان أهل السماء؛ ومَن آمن مِن أهل الأرض إيماناً واحداً؛ وفرائضهم كثيرة مختلفة.

وذلك لأن فرائض الملائكة غير فرائضنا؛ وفرائضهم وفرائض الأولين غير فرائضنا؛ وإيمان أهل السماء وإيمان الأولين وإيماننا واحد؛ لأننا آمنا وعبدنا الرب عز وجل وحده؛ وصدقنا جميعاً، فكذلك الكفار كفرهم وإنكارهم واحد؛ وعبادتهم مختلفة، وكذلك لو سألت اليهودي: مَن تعبد؟ يقول: اللهَ أعبد، وإذا سألته عن الله؟ قال: هو الذي عُزَيْرٌ ولده؛ وهو الذي على مثال البشر، ومن كان بهذه الصفة؛ لم يكن مؤمناً بالله.

وإذا سألت النصراني مَن تعبد؟ قال اللهَ أعبد، وإذا سألته عن الله؟ قال: هو الذي في جسد عيسى؛ وفي بطن مريم؛ يجتن في شيء؛ ويحيط به شيء؛ ويلج في شيء؛ ومَن كان بهذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله.

وإذا سألت المجوسي مَن تعبد؟ يقول: اللهَ أعبد، فإذا سألته عن الله؟ قال: هو الذي له الشريك والولد والصاحبة؛ ومن كان بهذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله.

فجهالة هؤلاء كلهم بالرب عز وجل؛ وإنكارهم واحد؛ ونعوتهم وصفاتهم وعباداتهم كثيرة مختلفة.

كمثل ثلاثة نفر، قال أحدهم: إن عندي لؤلؤة بيضاء؛ ليس في العالم مثلها، فأخرج حبة من عنب سوداء؛ فحلف أنها لؤلؤة؛ وخاصم الناس في ذلك.

وقال آخر: عندي اللؤلؤة المرتفعة؛ التي ليس في العالم مثلها؛ فأخرج سفرجلة؛ فحلف على ذلك؛ فخاصم الناس على أنها لؤلؤة.

وقال الثالث: اللؤلؤة اليتيمة التي هي عندي، وأخرج قطعة من مدر؛ فجعل يحلف على ذلك، ويخاصم الناس على أنها لؤلؤة.

كل هؤلاء اجتمعت جهالتهم باللؤلؤة؛ لأنه ليس أحد منهم يعرف اللؤلؤة، وصفاتهم كثيرة مختلفة، فتعرف بذلك أنك لا تعبد موصوفهم ؛ ولا معبودهم ؛ لأنهم يصفون الثلاثة والاثنين؛ وإنما يعبدون الذي يصفونه، وأنت تصف الواحد فمعبودك غير معبودهم، ومعبودهم غير معبودك، ولذلك قال الله عز وجل:

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣) [سورة الكافرون].

قال المتعلم رحمه الله: لقد عرفت الذي وصفت أنه كما وصفت، ولكن أخبرني من أين يكون هؤلاء جهالاً بالرب ليعرفونه؛ وهم يقولون الله ربنا؟!.

قال العالم رضي الله عنه: قد أعرف الذي يقولون؛ أنهم يقولون: إن الله ربنا؛ وهم في ذلك لا يعرفونه؛ لقوله تعالى:

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ **أَكْثَرُهُمْ** لا يَعْلَمُونَ(٢٥) [سورة لقمان: ٢٥]، يقول تعالى: (**أَكْثَرُهُمْ**) يقولون هذا القول بغير علم.

كالصبي الذي ولدته أمه أعمى؛ فيَذْكرُ الليلَ والنهار والصفرة والحمرة من غير أن يعرف شيئاً من ذلك.

وكذلك الكفار قد سمعوا اسم الله تعالى من المؤمنين، وهم يقولون ما سمعوا من غير أن يعرفوه، ولذلك قال الله تعالى: (.. فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ(٢٢) [سورة النحل].

قال المتعلم رحمه الله: هو كما وصفت، ولكن أخبرني عن الرسول أَمِنْ قِبَلِ الله تعالى عرفتَه؟ أَوْ تَعْرِفُ اللهَ مِنْ قِبَلِ الرسول؟ فإن زعمت أنك إنما تعرف الرسول مِن قِبَلِ الله فكيف يكون ذلك؟! والرسول هو الذي يدعوك إلى الله تعالى؟!.

قال العالم رضي الله عنه: نعم، نعرف الرسول من الله تعالى؛ لأن الرسول وإن كان يدعو لله تعالى، ولم يكن أحد يعلم بأن الذي يقول الرسول حق؛ حتى يقذف الله في قلبه التصديق؛ والعلم بالرسول، ولذلك قال الله عز وجل: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..(٥٦) [سورة القصص].

ولو كانت معرفة الله مِن قِبَل الرسول؛ لكانت المنة على الناس في معرفة الرسول؛ من قبل الرسول لا من قبل الله، ولكن المِنَّة من الله على الرسول في معرفة الرب عز وجل، والمنة لله على الناس؛ بما عرَّفهم الله من التصديق بالرسول؛ بل ينبغي أن نقول: إنما العبد لا يعرف شيئاً من الخير إلا من قبل الله.

قال المتعلم رحمه الله: قد فَرَّجْت عني، ولكن أخبرني عن تفسير الولاية؟ والبراءة؟ هل يجتمعان في إنسان واحد؟!.

قال العالم رحمه الله: الولاية: هي الرضا بالعمل الحسن، والبراءة: هي الكراهية على العملَ السيئ، وربما اجتمعا في إنسان واحد، وربما لم يجتمعا فيه، فهو المؤمن الذي يعمل عملاً صالحاً وسيئاً، وأنت تجامعه وتوافقه على العمل الصالح، وتحبه عليه، وتخالفه وتفارقه على ما يعمل من السيئ؛ وتكره له ذلك، فهذا ما سألت عن الولاية والبراءة يجتمعان في إنسان واحد، والذي فيه الكفر ليس فيه شيء من الصالحات، وإنك تبغضه وتفارقه في جميع ذلك، والذي تحبه ولا تكره منه شيئاً فهو الرجل المؤمن الذي قد عمل بجميع الصالحات، واجتنب القبيح؛ فأنت تحب كل شيء منه، ولا تكره منه شيئاً.

قال المتعلم رحمه الله: ما أحسن ما قلت، ولكن أخبرني عن كفر النعم؟! ما

هو ؟!.

قال العالم رحمه الله: كفر النعم: أن ينكر الرجل أن تكون النعم من الله، فإن أنكر شيئاً من النعم؛ فزعم أنها ليست من الله؛ فهو كافر بالله، لأن من كفر بالله كفر بالنعم، قال الله تعالى:

(يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ..(٨٣) [سورة النحل].

يقول: إن الكفار يعرفون أن الليل ليل؛ والنهار نهار، ويعرفون الصحة والغنى، وجميع ما يتقلبون فيه من السعة والراحة أنها نعمة، غير أنهم ينسبون ذلك إلى معبودهم الذي يعبدونه، ولا ينسبونه إلى الله الذي منه النعم، ولذلك قال الله تعالى:

(يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ..(٨٣) [سورة النحل].

أي: ينكرون أن تكون من الله الواحد؛ الذي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١١) [سورة الشورى] والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

******

الرسالة الرابعة
رسالة أبي حنيفة
إلى عالم البصرة
عثمان البَتّي

رحمهما الله تعالى

رسالة أبي حنيفة
إلى عثمان البَتِّي(١) عالم أهل البصرة
رضي الله عنهما
في التبرئ مما يرمى به من الإرجاء؛ كذباً وزوراً؛ من جهلة أغرار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين،روى الإمامُ حُسام الدين الحسين بن علي بن الحجاج السُّغناقي(٢) عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البُخاري، عن شمس الأئمة محمد بن عبد السَّتَّار الكَرْدَرِي، عن برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المَرْغِيناني، عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر اليَرْسُوخي، عن علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السَّمَرْقَنْدي، عن أبي المُعين ميمون بن محمد المَكْحُول النَّسَفِي، عن أبي زكريا يحيى بن مُطرف البَلْخي، عن أبي صالح بن الحسين السَّمَرْقَنْدي، عن أبي سعيد محمد بن أبي بكر البُستي، عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي، عن

---

١) قال شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبي غدة –رحمه الله– (وأما (البَتِّي) بفتح الموحّدة وتثقيل المثناة فنسبة إلى بيع البُتُوت، فقد كان عثمان يبيع البُتوتَ، كما ذكره ابنُ سعد، و(البُتُوت) جمعُ البَتّ) وهي الطيلسانُ من خَزٍّ ونحوه، وبائعه بَتّي وبَتَّات.

وقد اضطرب صنيعُ صاحب "القاموس" العلامة الفيروزآبادي، فذكر عثمان هذا مرةً في البتّ بمعنى الطيلسان، وأخرى في البَتِّ التي اسمُ قرية بالعراق قُرب زاذان، وقال: إن عثمان هذا منسوب إليه، والمُحَدِّثون على الأول الذي نقلتُه عن ابن سعد، وبه قال ابنُ قتيبة في "المعارف" والذهبي في "السير" وآخرون، وأما السمعاني فقد قال في "الأنساب": (البَتِّي هذه النسبة إلى البَتِّ، وهو موضع أظن بنواحي البصرة، والمشهورُ بهذه النسبة من القدماء: عثمان البَتِّي..) كذا قال السمعاني، والظاهر أن الصواب هو الأول) انتهى انظر رسائل الأئمة السلف ص ١٨-١٩.

٢) أضبط الأسماء من كتاب شيخنا عبد الفتاح أبي غدة –رحمه الله–: (رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي) والتي منها هذه الرسالة (محمد نور عفا الله عنه).

نصير بن يحيى الفقيه، عن أبي عبد الله محمد بن سَمَاعة التميمي، عن الإمام أبـــي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنـــه وعنهم أجمعين أنه قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبي حنيفة إلى عثمان البَتِّي: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـــه إلا هو، أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله وطاعتِه، وكفى بالله حسيباً وجازياً.

بلغَني كتابُك، وفهِمتُ الذي فيه من نصيحتك، وقد كتبتَ أنه دعاك إلى الكتاب بما كتبت حِرصُك على الخير والنصيحة، وعلى ذلك كان موضعه عندنا.

كتبتَ تذكر أنه بلغك أني من المرجئة، وأنّي أقول: مؤمن ضال، وأن ذلك يشـــق عليك، ولعمري ما في شيء باعَدَ عن الله تعالى عُذرٌ لأهله، ولا فيما أحدث النـــاس وابتدعوا أمر يُهتدى به، ولا الأمرُ إلا ما جاء به القرآن، ودعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم، وكان عليه أصحابُه حتى تفرَّق الناس.

وأما ما سوى ذلك فَمُبْتَدَعٌ ومُحدَث، فافهم كتابي إليك، فاحذر رأيَك على نفســـك، وتخوف أن يدخل الشيطان عليك، عصمنا الله وإياك بطاعته، ونسأله التوفيق لنا ولك برحمته.

ثم أُخبرُك أن الناس كانوا أهل شرك، قبل أن يبعث الله تعالى محمداً صلـــــى الله عليه وسلم، فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم إلى أن يشهدوا: أنه لا إله إلا الله؛ وحده لا شريك له، والإقرار بما جاء به من الله تعالى.

وكان الداخل بالإسلام مؤمناً؛ بريئاً من الشرك، حرام مالُه وعرضُه ودمُـــه؛ لـــه حقُّ المسلمين وحُرمتُهم، وكان التاركُ لذلك حين دعا إليه كافراً؛ بريئاً من الإيمـــان، حلالاً مالُه ودمُه، لا يُقبلُ منه إلا الدخول في الإسلام أو القتـــل؛ إلا مـــا ذكـــر الله

سبحانه وتعالى في أهل الكتاب؛ من إعطاء الجزية.

ثم نزلت الفرائض بعد ذلك على أهل التصديق، فكان الأخذ بها عملاً مع الإيمان، ولذلك يقول الله عز وجل:

(..الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..(٢٥) [سورة البقرة].

وقال: (..وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا..(١١) [سورة الطلاق].

وأشباه ذلك من القرآن.

فلم يكن المُضَيِّع للعمل مضيعاً للتصديق، وقد أصاب التصديق بغير عمل، ولو كان المضيع للعمل مضيعاً للتصديق لانتقل من اسم الإيمان وحرمته بتضييعه العمل، كما أن الناس لو ضَيَّعوا التصديق لانتقلوا بتضييعه من اسم الإيمان وحرمته وحقه، ورجعوا إلى حالهم التي كانوا عليها من الشرك.

ومما يعرف به اختلافهما أن الناس لا يختلفون في التصديق، ولا يتفاضلون فيه. وقد يتفاضلون في العمل، وتختلف فرائضهم.

ودين أهل السماء ودين الرسل واحد، فلذلك يقول الله تعالى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ..(١٣) [سورة الشورى].

واعلم أن الهدى والتصديق بالله ورسله؛ ليس كالهدى فيما افترض من الأعمال. **ومن أين يشكل ذلك عليك؟** وأنت تسميه مؤمناً بتصديقه؛ كما سماه الله تعالى في كتابه؛ وتسميه جاهلاً بما لا يعلم من الفرائض، وهو إنما يتعلم ما يجهل. فهل يكون الضال عن معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ كالضال عن معرفة ما يتعلمه الناس؛ وهم مؤمنون؟! وقد قال الله تعالى في تعليمه الفرائض:

(..يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(١٧٦) [سورة النساء].

وقال: (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى..(٢٨٢) [سورة البقرة].

وقال: (.. فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(٢٠) [سورة الشعراء] يعني: من الجاهلين.

والحجة من كتاب الله تعالى والسنة على تصديق ذلك أبين وأوضح؛ من أن تُشْكل على مثلك، أوَ لستَ تقول: مؤمن ظالم؛ ومؤمن مذنب؛ ومؤمن مخطئ؛ ومؤمن عاص؛ ومؤمن جائر؟ هل يكون فيما ظَلَمَ وأخطأ مهتدياً فيه مع هداه في الإيمان!! أو يكون ضالاً عن الحق الذي أخطأه ؟!!

وقول بني يعقوب على نبينا وعليهم السلام لأبيهم:

(..إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ(٩٥) [سورة يوسف] أتظن أنهم عَنَوا إنك لفي كفرك القديم؟! حاشا لله أن تفهم هذا؛ أنت بالقرآن عالم.

واعلم أن الأمر لو كان كما كتبت به إلينا؛ أن الناس كانوا أهل تصديق قبل الفرائض؛ ثم جاءت الفرائض؛ لكان ينبغي لأهل التصديق أن يستحقوا (اسم التصديق بالعمل حين كلفوا به، ولم تفسر لي ما هم؟! وما دينهم؟! وما مستقرهم عندك (قبل ذلك)؟! إذا هم لم يستحقوا الاسم إلا بالعمل حين كلفوا؟!.

فإن زعمت أنهم مؤمنون؛ تجري عليهم أحكام المسلمين؛ وحرمتهم؛ صدقت، وكان صواباً، لما كتبت به إليك.

وإن زعمت أنهم كفار؛ فقد ابتدعت؛ وخالفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن.

وإن قلت بقول من تعنت من أهل البدع؛ وزعمت أنه ليس بكافر ولا مؤمن، **فاعلم** أن هذا القول: بدعة؛ وخلاف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

وقد سُمي عليٌّ رضي الله عنه أميرَ المؤمنين، وعُمَرُ رضي الله عنه أميرَ المؤمنين، أو أمير المطيعين في الفرائض كلها يَعنون؟.

وقد سَمَّى عليٌّ رضي الله عنه أهلَ حربه من أهل الشام مؤمنين في كتاب (القضية). أوَ كانوا يهتدون وهو يقتلهم؟!

وقد اقتتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن الفِئتانِ مُهتَدِيتَين

جميعاً، فما اسمُ الباغية عندك؟!

فوالله ما أعلمُ من ذنوب أهل القبلة ذنباً أعظم من القتل، ثم دماء أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام خاصة. فما اسم الفريقين عندك؟! وليسا مهتديين جميعاً!.

فإن زعمتَ أنهما مهتديان جميعاً ابتدعت، وإن زعمت أنهما ضالان جميعاً ابتدعت. وإن قلت: إن أحدهما مهتد؛ فما الآخر! فإن قلت: لا أعلم؛ أصبتَ. تَفَهَّم هذا الذي كتبتُ به إليك.

واعلم أني أقول: أهل القِبلة مؤمنون؛ لستُ أخرجهم من الإيمان بتضييع شيء من الفرائض. فمن أطاع الله تعالى في الفرائض كلها مع الإيمان كان من أهل الجنة عندنا. ومن تركَ الإيمانَ والعملَ كان كافراً من أهل النار، ومن أصاب الإيمان وضيع شيئاً من الفرائض كان مؤمناً مذنباً؛ وكان لله تعالى فيه المشيئة؛ فإن شاء عذبه؛ وإن شاء غفر له، فإن عذَّبَه على تضييعه شيئاً؛ فعلى ذنب يعذبه، وإن غفر له فذنباً يغفر.

وإني أقول فيما مضى من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان بينهم: الله أعلم. ولا أظنُّ هذا إلا رأيَك في أهل القبلة؛ لأنه أمْرُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأمْرُ (حملة) السنة والفقه.

- **زَعَمَ[1] أخوك عطاء بن أبي رباح:** ونحن نصف له هذا: أن هذا أمْرُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- **وزعم سالم عن سعيد بن جبير:** هذا أمْر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

- **وزعم أخوك نافع: إن هذا أمر عبد الله ابن عمر** رضي الله عنهما.

---

[1]) الزَّعم؛ والزُّعم؛ والزِّعم: ثلاث لغات : القول: زَعَمَ زَعْماً وزُعْماً وزِعْماً أي قال، وقيل: هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً كذا في لسان العرب، وهنا بمعنى القول الحق بقرينة المقام، فكل هؤلاء لا يرون نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة قاله الكوثري رحمه الله.

- وزعم ذلك أيضاً عبد الكريم عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذا أمره.

- وقد بلغني عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين كتب القضيةَ أنه يُسمي الطائفتين مؤمنين جميعاً.

- وزعم ذلك أيضاً عمر بن عبد العزيز كما رواه من لقيني من إخوانك؛ فيما بلغني عنك، ثم قال: ضعوا لي في هذا كتاباً، ثم أنشأ يعلمه ولده، ويأمرهم بتعليمه -عَلِمَهُ جلساؤك؛ رحمك الله تعالى- فكان بمكان من المسلمين.

واعلم أن أفضل ما علَّمتم؛ وما تعلمون الناسَ السنة؛ وأنت ينبغي لك أن تعرف أهلها؛ الذين ينبغي أن يتعلموها.

وأما ما ذكرت من اسم المرجئة؛ فما ذنب قوم تكلموا بعدل، وسماهم المبتدع بهذا الاسم؟ ولكنهم أهلُ العدل وأهل السنة؛ وإنما هذا الاسمُ سماهم به أهل الشَّنَآن، ولَعَمْري ما يُهَجِّنُ عدلاً؛ لو دعوتَ إليه الناس فوافقوك عليه؛ أن يُسميَهم أهلُ شنآن: المرجئة، فلو كانوا فعلوا ذلك كان هذا الاسم بدعة، فهل يُهَجِّنُ ذلك ما أخذتَ به من أهل العدل؟.

ثم إنه لولا كراهيةُ التطويل؛ وأن يَكْثُر التفسيرُ؛ لشرحت لك الأمور التي أجبتُك بها فيما كتبتُ به؛ ثم إن أشكلَ عليك شيء؛ أو أدخلَ عليك أهل البدع شيئاً؛ فأعلمني أُجِبْكَ فيه إن شاء الله تعالى، ثم لا آلوكَ نفسي والله المستعان.

لا تدع الكتاب إليّ بسلامك وحاجتك؛ رزقنا الله منقلباً كريماً وحياة طيبة؛ وسلام الله عليك ورحمة الله وبركاته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرسالة الخامسة

الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الوصية

من الإمام الأجلّ أبي حنيفة (رحمه الله تعالى) لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

لما مرض أبو حنيفة رحمه الله قال:

اعلموا أصحابي وإخواني وفقكم الله تعالى، إن في مذهب أهل السنة والجماعة **اثنا عشر نوعاً من الخصال**؛ فمن كان يستقيم على هذه الخصال لا يكون مبتدعاً؛ ولا يكون صاحب الهوى، فعليكم أصحابي وإخواني أن تكونوا في هذه الخصال حتى تكونوا في شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة:

أولها – الإيمان: إقرار باللسان؛ وتصديق بالقلب، والإقرار وحده لا يكون إيماناً؛ لأنه لو كان إيماناً؛ لكان المنافقون كلهم مؤمنين.

وكذلك المعرفة وحدها لا يكون إيماناً؛ لأنها لو كانت إيماناً؛ لكانت أهل الكتاب كلهم مؤمنين، قال الله تعالى في حق المنافقين:

(..وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١) [سورة المنافقون].

وقال في حق أهل الكتاب: (..يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ..(١٤٦) [سورة البقرة].

والإيمان[١]لا يزيد ولا ينقص: لأنه لا يتصور زيادة الإيمان إلا بنقصان الكفر؛ ولا يتصور نقصان الإيمان إلا بزيادة الكفر. فكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمناً وكافراً حقاً؟.

وليس في إيمان المؤمن شك؛ كما أنه ليس في كفر الكافر شك، كقوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا..(٤) [سورة الأنفال].

والعاصون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنون؛ وليسوا بكافرين.

---

[١]) أي أصل الإيمان، وأما نور الإيمان فيزيد وينقص.

والعمل غير الإيمان؛ والإيمان غير العمل، بدليل:

إن كثيراً من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن؛ ولا يجوز أن يقال: ارتفع عنه الإيمان:

- فإن الحائض تُرفع عنها الصلاة؛ ولا يجوز أن يقال: ارتفع عنها الإيمان؛ أو أمرها لها بترك الإيمان؛ وقد قال لها الشارع: دعي الصوم ثم اقضيه؛ ولا يجوز أن يقال: دعي الإيمان ثم اقضيه.

- ويجوز أن يقال: ليس على الفقير الزكاة؛ ولا يجوز أن يقال: ليس على الفقير الإيمان.

ولو قال: تقدير الخير والشر من غير الله تعالى؛ كان كافراً بالله؛ وبطل توحيده؛ لو كان له توحيد.

١-([1]) **نُقر بأن الأعمال ثلاثة:** فريضة؛ وفضيلة؛ ومعصية.

- **فالفريضة:** بأمر الله تعالى؛ ومشيئته؛ ومحبته؛ ورضائه؛ وقضائه؛ وتقديره؛ وإرادته؛ وتوفيقه؛ وتخليقه؛ وحكمه؛ وعلمه؛ وكتابته باللوح المحفوظ.

- **وأما الفضيلة:** فليس بأمر الله تعالى؛ ولكن بمشيئته؛ وبمحبته؛ وبقضائه؛ وبرضائه؛ وبتقديره؛ وبتوفيقه.

- **(وأما المعصية** [2]): فبخذلانه؛ لا بمعونته؛ وكتابته باللوح المحفوظ.

٢ - نُقِرُّ بأن الله تعالى على العرش استوى؛ من غير أن تكون له حاجة أو استقرار عليه؛ وهو الحافظ للعرش وغير العرش؛ فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق

---

[1]) قمت بترقيم فقرات (نُقِرّ) (محمد نور).

[2]) سقطت من الأصل؛ وإنما يدل عليها السياق.

العرش أين كان الله تعالى؟! مُنَزَّهٌ عن ذلك علواً كبيراً.

٣ - **نُقِرُّ بأن القرآن**: كلام الله تعالى؛ ووحيه؛ وتنزيله؛ وصفته؛ لا هو ولا غيره؛ بل هو صفته على التحقيق؛ مكتوب في المصاحف؛ مقروءٌ بالألسن؛ محفوظ في الصدور؛ من غير حالٍ فيها؛ والحروف والحبر والكَاغَز (١) والكتابة كلها مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد، وكلام الله غير مخلوق؛ لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليه، وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه بهذه الأشياء، فمن قال: بأن كلام الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله معبود لا يزال عما كان؛ وكلامه مقروءٌ ومحفوظ من غير مزايلة عنه.

٤ - **نُقِرُّ بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر** ثم عمر ثم عثمان ثم علي [رضي الله عنهم] لقوله تعالى:

(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(١٢) [سورة الواقعة].

كل من سبق فهو أفضل؛ ويحبهم كل مؤمن تقي، ويبغضهم كل منافق شقي.

٥ - **نُقِرُّ بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق**، فلما كان الفاعل مخلوقاً؛ أولى أن يكون أيضاً فعله مخلوقاً، ولم يكن لهم طاقة؛ لأنهم ضعفاء عاجزون، والله تعالى خالقهم ورازقهم؛ لقوله تعالى:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ..(٤٠) [سورة الروم].

والكسب بالعمل حلال؛ وجمع المال من الحلال حلال؛ ومن الحرام حرام.

الخلق على ثلاثة أصناف:

- المؤمن المخلص في إيمانه.

---

(١) الكَاغَز: باللغة الفارسية ومعناه: الورق، قاله شيخنا عناية الله وهو أستاذ اللغة الفارسية في جامعة القاهرة عندما كان يعد دراسة الماجستير.

- والكافر الجاهر في كفره.

- والمنافق المداهن في نفاقه.

والله تعالى فرض على المؤمن العمل، وعلى الكافر الإيمان، وعلى المنافق الإخلاص، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ..(٢١) [سورة البقرة].

معناه: يا أيها المؤمنون أطيعوا؛ ويا أيها الكافرون آمنوا؛ ويا أيها المنافقون أخلصوا.

٦ - **نُقِرُّ بأن الاستطاعة مع الفعل** لا قبل الفعل ولا بعد الفعل، لأنه لو كان العبد مستغنياً عن الله تعالى وقت الفعل، فهذا خلاف النص؛ لقوله تعالى:

(وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ..(٣٨) [سورة محمد].

ولو كان بعد الفعل لكان من المحال حصول الفعل بلا استطاعة.

٧ - **نُقِرُّ بأن المسح على الخفين جائز** للمقيم يوماً وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها، لأن الحديث ورد هكذا، ومن أنكر فإنه يخشى عليه الكفر؛ لأنه ثبت بالخبر المتواتر، والقصر والإفطار رخصة في السفر بنص الكتاب؛ لقوله تعالى:

(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ..(١٠١)[سورة النساء].

وفي الإفطار قوله تعالى: (..فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ..(١٨٤) [سورة البقرة].

٨ - **نُقِرُّ بأن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب**، فقال: ما أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: ما هو كائن إلى يوم القيامة "لقوله تعالى:

(وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ(٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ(٥٣) [سورة القمر].

٩ - **نُقِرُّ بأن عذاب القبر كائن لا محالة**، وسؤال المنكر والنكير حق، لورود الأحاديث.

والجنة والنار حق؛ وهما مخلوقتان؛ لا فناء لهما، لقوله تعالى في حق الجنة: (..أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) [سورة آل عمران].

وفي حق النار: (..أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(٢٤) [سورة البقرة] خلقهما الله للثواب والعقاب.

والميزان حق؛ لقوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ(٩) [سورة الأعراف].

وقراءة الكتب يوم القيامة حق؛ لقوله تعالى: (.. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(١٣)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤) [سورة الإسراء].

١٠ - نُقِرُّ بأن الله تعالى يحيي هذه النفوس بعد الموت؛ يبعثهم يوماً كان مقداره ألف سنة؛ للجزاء والثواب؛ وأداء الحقوق، لقوله تعالى:

(.. وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ(٧) [سورة الحج].

ولقاء الله تعالى لأهل الجنة: بلا كيف؛ ولا شبيه؛ ولا جهة.

وشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق لكل من هو أهل الجنة؛ وإن كان صاحب الكبيرة.

وعائشة رضي الله عنها أفضل نساء العالمين بعد خديجة الكبرى؛ وهي أم المؤمنين؛ ومطهرة من القذف.

وأهل الجنة في الجنة خالدون، وأهل النار في النار خالدون، لقوله تعالى في حق المؤمنين:

(أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٨٢)) [سورة البقرة].

وفي حق الكافرين: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩) [سورة البقرة].

الملحق الأول

مبحث الإيمان

برواية أبي حنيفة النعمان[1]

رحمه الله تعالى

[1]) أضفت هذا الملحق والذي يليه كتطبيقات عملية لمبحث الإيمان (محمد نور).

بسم الله الرحمن الرحيم

مبحث الإيمان برواية أبي حنيفة النعمان

١ - **أبو حنيفة** عن علقمة بن مرثد، عن يحيى بن يعمر، قال: بينما أنا مع صاحب لي بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بصرنا بعبد الله بن عمر، فقلت لصاحبي: هل لك أن نأتيه فنسأله عن القدر؟ فقال: نعم، فقلت: دعني حتى أكون أنا الذي أسأله؛ فإني به أعرف به منك، قال: فانتهينا إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فسلمنا عليه، ثم قعدنا إليه، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نتقلب في هذه الأرضين، فربما قدمنا البلدة بها قوم يقولون: لا قدر، فما نردّ عليهم، قال: أبلغهم أني منهم بريء؛ ولو أني وجدت أعواناً لجاهدتهم، ثم أنشأ يحدثنا قال:

بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه رهط من أصحابه، إذ أقبل شاب جميل أبيض حسن اللمة طيب الريح عليه ثياب بيض، فقال السلام عليك يا رسول الله؛ فقال: فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورددنا معه، قال: أأدنُو يا رسول الله؟ فقال: (أدنه)؛ فدنا دنوة أو دنوتين، ثم قام موقراً له، ثم قال: أأدنو يا رسول الله؟ قال: (أدن)؛ فدنا حتى ألصق ركبته بركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره من الله** "قال: صدقت، فعجبنا من تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله: صدقت؛ كأنه يعلم، قال: فأخبرني عن شرائع الإسلام ما هي؟ قال: (**إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، والاغتسال من الجنابة**) قال: صدقت، فعجبنا لقوله: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان ما هو؟ قال: (**الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: "**نعم** "، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الساعة متى هي؟ قال: "**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها**

أشراط فهي من الخمس التي استأثر الله بها، فقال:

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(٣٤) [سورة لقمان].

قال: صدقت، ثم انصرف ونحن نراه، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**عليَّ بالرجل** "فقمنا في أثره؛ فما ندري أين توجه، ولا رأينا شيئاً، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "**هذا جبريل؛ أتاكم يعلمكم معالم دينكم، والله ما أتاني بصورة إلا وأنا أعرفه فيها إلا في هذه الصورة**".

قال الزَّبيدي: وأخرجه الخمسة؛ وأخرجه سعيد بن منصور في سننه؛ وأخرجه الطبراني في الكبير.

٢ - **أبو حنيفة** عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أمرت أن أقاتل الناس([1]) حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءه وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تبارك وتعالى** "

قال الزَّبيدي: صحيح أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر بلفظ: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وفي أخرى: "**ويؤمنوا بي وبما جئت به** "، وفي أخرى للبخاري والثلاثة: "**حتى يقولوا**) كما هو هنا، إلا أنهم زادوا وأن محمد رسول الله، وفيه: "**فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا حرُمت عليهم دماؤهم وأموالهم إلا بحقها** "؛ وفي رواية أخرى للنسائي عن أنس الاقتصار على نحو ما رواه الإمام أبو حنيفة.

---

[1]) الناس هنا: هم العرب، قاله شيخنا أ.د. محمد فوزي فيض الله حفظه الله في صحة وعافية.

٣- **أبو حنيفة** عن عطاء بن أبي رباح أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه أن عبد الله بن رواحة كانت له راعية تتعهد غنمه، وأنه أمرها بتعاهد شاة من بين الغنم، فتعهدتها حتى سمنت الشاة، واشتغلت الراعية ببعض الغنم، فجاء الذئب فاختلس الشاة وقتلها، فجاء عبد الله بن رواحة وفقد الشاة فأخبرته الراعية بأمرها، فلطمها، ثم ندم على ذلك، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال: "**ضربت وجه مؤمنة** "فقال: إنها سوداء لا علم لها، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألها: "**أين الله** " فقالت: في السماء. قال: "**فمن أنا** "؟ قالت: رسول الله، قال: "**إنها مؤمنة فأعتقها** " فأعتقها.

قال الزَّبيدي: وهو حديث صحيح أخرجه مسلم، وأبو داود والنسائي، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

٤- **أبو حنيفة** عن أبي الزير، عن جابر رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) [سورة الليل] **قال:** "**بلا إله إلا الله** ". (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) [سورة الليل] **قال:** "**بلا إله إلا الله** ".

قال الزَّبيدي: تفسير "الحسنى "بلا إله إلا الله ليس في شيء من كتب الصحاح، والذي في الصحيحين، وأبي داود، والترمذي، من حديث علي كرم الله وجهه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فجعل ينكت مخصرته. الحديث، وفي آخره ثم قرأ:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى [سورة الليل] هذا لفظ الصحيحين، ولفظ أبي داود والترمذي نحو ذلك مع مزيد بسط، وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

٥ - **أبو حنيفة** حدثنا عبد الله بن أبي حبيبة، قال: سمعت أبا الدرداء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه: قال: بينما أنا رديف رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال: **"يا أبا الدرداء! من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وجبت له الجنة "**؛ قال: قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: سكت عني ثم سار ساعة، وفي رواية هنيهة، فقال: **"من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وجبت له الجنة** "وفي رواية: **(من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً وجبت له الجنة** "قال: قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: **(وإن زنى وإن سرق، رغم أنف أبي الدرداء)** قال: فكأني انظر إلى إصبع أبي الدرداء السبابة يومئ بها إلى أرنبته.

قال الزَّبيدي: وقد أخرج الحديث أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير، والأوسط، وأخرجه مسدد من طريق رجاله ثقات، وكذا أبو يعلى، وأخرجه الشيخان والترمذي من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. وأخرجه أبو يعلى في مسنده، والنسائي كلاهما عن بندار.

باب في القدر وغيره وصحة قوله أنا مؤمن حقاً

فيه حديث يحيى بن يعمر الذي تقدم.

٦ - **أبو حنيفة** عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يجيء قوم يقولون لا قدر ثم يخرجون منه إلى الزندقة، فإذا لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم؛ فإنهم شيعة الدجال، ومجوس هذه الأمة، حقاً على الله أن يلحقهم به).**

ورواه جماعة فأدخلوا بين أبي حنيفة ونافع، الهيثم بن الحبيب الصيرفي.

قال الزَّبيدي: وأخرجه أبو داود والحاكم في الإيمان، من حديث أبي حازم عن ابن عمر بلفظ: (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا

تشهدوهم) ([1]) قال الحاكم: هو على شرطهما إن صح لأبي حازم سماع من ابن عمر كذا في التلخيص.

٧ - **أبو حنيفة** عن أبي الزبير، عن جابر أن سراقة بن مالك قال: يا رسول الله حدثنا عن ديننا كأننا ولدنا له، أن نعمل لشيء جرت به المقادير وجفت به الأقلام؟! أو لشيء مستقبل؟ قال: **"لما جرت به المقادير وجفت به الأقلام** "قال: ففيم العمل؟! قال: **"اعملوا فكل ميسر** "ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠) [سورة الليل].

قال الزَّبيدي: وأخرجه مسلم وأصله في البخاري وهو قريب من لفظ ابن ماجة وفي لفظ لمسدد: أخبرنا عن أمرنا كأنا ننظر إليه، والباقي سواء.

٨ - **أبو حنيفة** عن عبد العزيز بن رفيع عن مصعب بن سعد، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من نفس إلا وقد كتب مدخلها ومخرجها وما هو لاقيه) قال فقال رجل من الأنصار: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: (من كان من أهل الجنة يسر لعمل أهل الجنة، ومن كان من أهل النار يسر لعمل أهل النار) فقال الأنصاري: الآن حق العمل([2]).

قال الزَّبيدي: وأخرجه أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي وابن ماجة من حديث علي بلفظ: (ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار) وفي آخره ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) [سورة الليل].

٩ - **أبو حنيفة** قال: كنا عند علقمةَ بن مَرثَد عند عطاء بن أبي رباح، فسأله

---

[1]) فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم: أي لا تزوروهم في مرضهم، ولا تحضروا جنائزهم ولاتصلوا عليهم .

[2]) الآن حق العمل: أي ثبت ظهوره.

علقمة بن مرثد، فقال: يا أبا محمد إن ببلادنا أقواماً لا يثبتون لأنفسهم الإيمان ويكرهون أن يقولوا: إنا مؤمنون.

فقال: ما لهم لا يقولون ذلك؟

قال: يقولون: إذا أثبتنا لأنفسنا الإيمان جعلنا أنفسنا من أهل الجنة.

قال: سبحان الله هذا من خدع الشيطان وحبائله وحيله ألجأهم أن دفعوا أعظم منّة لله عليهم وهو الإسلام، وخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبتون الإيمان لأنفسهم، ويذكرون ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقل لهم يقولوا: إنا مؤمنون، ولا يقولوا: إنًّا من أهل الجنة فإن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ؟

فقال له علقمة: يا أبا محمد إن الله لو عذب الملائكة الذين لم يعصوه طرفة عين عذبهم وهو غير ظالم لهم؟ قال: نعم،

فقال: هذا عندنا عظيم ([1])، فكيف يعرف هذا؟

فقال: يا ابن أخي من هذا ضل أهل القدر، فإياك أن تقول بقولهم فإنهم أعداء الله والرادون على الله، أليس يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(١٤٩) [سورة الأنعام].

فقال له علقمة: اشرح لنا يا أبا محمد شرحاً يذهب عن قلوبنا هذه الشبهة؟.

فقال: أليس الله تبارك وتعالى دل الملائكة على تلك الطاعة، وأهمهم إياها، وعزم لهم عليها، وصبرهم على ذلك؟ قال: نعم.

فقال: هذه نعم أنعم الله بها عليهم؟ قال: نعم.

قال: فلو طالبهم بشكر هذه النعم ما قدروا على ذلك وقصّروا، وكان لهم أن

---

[1]) هذا عندنا عظيم لا تتحمله أذهاننا فكيف يتصور التعذيب بغيره جرم وعصيان قاله الغاوجي في الحاشية.

يعذبهم بتقصير الشكر، وهو غير ظالم لهم.

قال الزَّبيدي: منه طرف في البخاري..

باب سؤال القبر وعذابه

١٠ - **أبو حنيفة** عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(إذا وضع المؤمن في قبره أتاه الملك، فأجلسه فيقول: من ربك؟ فيقول: ربي الله، قال: من نبيك؟ قال: محمد، قال: وما دينك؟ فيقول: الإسلام ديني، قال: فيفسح له في قبره، ويرى مقعده من الجنة.

وإذا كان كافراً أجلسه الملك فيقال: من ربك؟ هاه كالمضل شيئاً، فيقول: من نبيك؟ فيقول: هاه كالمضيء شيئاً. فيقول ما دينك؟ فيقول: هاه كالمضل شيئاً، فيضيق عليه قبره ويرى مقعده من النار، فيضربه ضربةً يسمعه كل شيء إلا الثقلين الجن والإنس ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ(٢٧) [سورة إبراهيم].

قال الزَّبيدي: وأخرجه أحمد في حديث طويل، وفيه زيادة ونقص، وكذا الطيالسي وابن أبي شيبة، وابن منيع، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة باختصار، وفي المتفق عليه من حديث البراء أن المسلم إذا سئل في قبره شهد أن لا إله إلا الله وأن، محمداً رسول الله فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ..(٢٧)(١) [سورة إبراهيم].

---

(١) بالقول الثابت: لفظ البخاري بسنده إلى البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير سورة إبراهيم: ٢٧

بيان الخبر الدال على وقاية عذاب القبر لمن مات يوم الجمعة

١١ -**أبو حنيفة** عن الهيثم، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات يوم الجمعة وُقي من عذاب القبر).

قال الزّبيدي: وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس، وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر:(ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر).

باب حكم أطفال المشركين

١٢ - **أبو حنيفة** عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل مولود يولد على الفطرة فــــأبواه يهودانه أو يُنَصّرانه) قيل: فمن مات صغيراً يا رسول الله؟ قال: (الله أعلم لما كانوا عامين)

قال الزّبيدي: أخرجه البخاري؛ وأبو داود؛ والترمذي بنحوه.

وأخرج أبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن أنس مختصراً بزيادة: (حتى يعرب عنه لسانه).

باب رؤية الله عز وجل

١٣ - **أبو حنيفة** عن إسماعيل بن أبي خالد، وبيان بن بشر عن قيس بــن أبــي حازم، قال: سمعت جرير بن عبد الله رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فانظروا أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**).

قال الزَّبيدي: وهو صحيح في البخاري من طريق إسماعيل، عن قيس، عن جرير، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: **(أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامّون)، أو قال: (لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا). ثم قال: (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها).**

باب في شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم

١٤ - **أبو حنيفة** عن الهيثم، عن الشعبي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلقتين.

قال الزّبيدي: وهو في صحيح البخاري من رواية أبي معمر، عن ابن مسعود،قال: انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(اشهدوا).**

باب في الشفاعة وغيرها

١٥ - **أبو حنيفة** عن مصعب بن سعد، عن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا(٧٩) [سورة الإسراء]. قال: (الشفاعة).

قال الزَّبيدي: وأخرجه البخاري من طريق آدم بن علي.

بيان الخبر الدال على خروج بعض الموحدين من النار بالشفاعة

١٦ - **أبوحنيفة** عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يُخرجُ اللهُ قوماً من الموحدين من النار بعد ما اُمتُحشوا فصاروا حُمماً، فيُدخلهم الجنةَ فيستغيثون الله تعالى مما تُسميهم أهل الجنة

الجَهَنّميين، فيُذْهب عنهم ذلك ".

قال الزَّبيدي: وهو في صحيح البخاري في حديث الشفاعة الطويل، بلفظ: "فيَقْبِضَ قَبضةً من النار فيُخرجَ أقواماً قد أُمتُحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة ".

بيان الخبر الدال على أن الكفار يكونون فداء عن المسلمين

١٧ - **أبو حنيفة** عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان يوم القيامة يُعطى كلُّ رجلٍ من المسلمين رجلاً من اليهود والنصارى، فيقال: هذا فِداؤكَ من النار".

قال الزَّبيدي: وأخرجه مسلم في التوبة بلفظ "فكاككم ".

بيان الخبر الدال على أن المؤمن لا يمنعه من دخول الجنة إلا الشرك.

١٨ - **أبو حنيفة** عن واصل عن زيدبن وهب عن أبي ذَرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من مات لا يُشركُ بالله دخلَ الجنةَ"

قال الزَّبيدي: وأخرجه أحمد والشيخان عن ابن مسعود؛ والرُّياني؛ والطبرني في الكبير؛ والبغوي عن أبي أيوب؛ وأحمد أيضاً؛ والبزار عن أبي سعيد؛ وأبو نعيم في الحلية؛ وابن خُزيمة؛ والنسائي عن أبي الدرداء؛ ولفظهم كلهم: "لا يُشرك بالله شيئاً".

بيان الخبر الدال على أن هذه الأمة أكثرُ أهلِ الجنة.

١٩ - **أبو حنيفة** عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: "أتَرضَونَ أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنةِ؟ قالوا: نعم، قال: أترضَونَ أن تكونوا ثلث أهل الجنةِ؟ قالوا: نعم، قال: أتَرضَون أن تكونوا نصف أهل الجنة؟ قالوا: نعم، قال: أبشروا فإن أهلَ الجنةِ عُشرون ومئةُ صَفٍّ؛ أمتي من ذلك ثمانون صفاً "

قال الزَّبيدي: وروى الترمذي بعضه بالسند، وقال: حديث حسن، وكذا رواه أحمد.

بيان الخبر الدال على تقديم أبي بكر رضي الله عنه على غيره

٢٠ - **أبو حنيفة** حدثنا سلمة بنُ كُهيل عن أبي الزعراء عن عبدِ الله بن مسعود رض الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اِقتَد باللَّذَينِ من بعدي أبي بكر وعمر ".

قال الزَّبيدي: وأخرجه الترمذي في المناقب وحسنه؛ والحاكم؛ وابن ماجه؛ وابنُ حِبان؛ كلهم من حديث عبدِ الملك بنِ عُمير عن ربعي عن حذيفة.

الخبر الدال على فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

٢١ - **أبو حنيفة** عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حِراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اِقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمرَ، واهتَدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبْد"

قال الزَّبيدي: أخرجه الترمذي وحسنه عن ابن مسعود؛ والرُّوياني عن حذيفة.

الخبر الدال على فضائل العشرة الكرام رضي الله عنهم

٢٢ - **أبو حنيفة** عن عبد الملك بن عُمير عن عمر بن حُريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة؛ وعمرُ في الجنة؛ وعثمان في الجنة؛ وعليٌّ في الجنة؛ وطلحة في الجنة؛ والزُّبير في الجنة؛ وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الجنة؛ وأنت في الجنة، فتواضع (١)"

قال الزَّبيدي: أخرجه ابن ماجة.

---

(١) بقي سعد بن أبي وقاص و أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم لم يذكرا في هذه الرواية.

الملحق الثاني

التطبيقات العملية في المناظرات العلمية

مناظرات الإمام أبي حنيفة

رحمه الله تعالى

أولاً – مناظرة الإمام أبي حنيفة مع الخــوارج وتوبتــهم على يديه:

أسند أبو الموفق المكي في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة) ص ١٠٨ فقال:

لما بلغ الخوارج أن أبا حنيفة لا يكفر أحداً من أهل القِبْلــة بذنــب، وفــد منــهم سبعون رجلاً، فدخلوا عليه؛ أحفَلَ ما كان المجلس؛ فقاموا جميعاً.

– فقالوا: يا أبا حنيفة! إن ملتنا واحدة، فَمُرْ الناس أن يُفرجوا لنا.

– قال: أفرجوا لهم؛ فأفرجوا؛ فأتوا حتى وقفوا على رأسه؛ ثم ســلّوا ســيوفهم جميعاً.

– فقالوا: يا أبا حنيفة! يا عدوّ هذه الأمة! وقال بعضهم: يا شيطان هــذه الأمــة! لَقَتْلك أحب إلى كل رجل منا من جهاد سبعين سنة؛ ولا نريد أن نظلمك.

– فقال لهم أبو حنيفة: أفتريدون أن تُنصفوني؟!

– قالوا: بلى!

– قال: فأغمدوا سيوفكم فإنه يهولني بريقها.

– قالوا: فكيف نغمدها ونحن نرجو أن نخضبها بدمك.

– قال: فتكلموا على اسم الله..

– قالوا: هاتان جنازتان على باب المسجد:

– **أما أحدهما**: رجل شرب الخمر؛ حتى كظته؛ وحشرج بها؛ فمات غرقاً في الخمر.

– **والأخرى**: امرأة زنت؛ حتى إذا أيقنت بالحَبَل قتلت نفسها.

– **فقال لهم أبو حنيفة**: مِن أيِّ الملل كانا؟ أمِن اليهود؟

– قالوا: لا،

– قال: أفَمن النصارى؟

- قالوا: لا،

- قال: أفمن المجوس؟

- قالوا: لا،

- قال: مِنْ أي الملل كانا؟

- قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً عبده ورسوله،

- قال: فأخبروني عن هذه الشهادة؟ كم هي من الإيمـــان؟ ثلــث؟ أو ربـــع؟ أو خمس؟

- قالوا: الإيمان: لا يكون ثلثاً؛ ولا ربعاً؛ ولا خمساً،

- قال: فكم هي من الإيمان؟

- قالوا: الإيمان كله،

- قال: فما سؤالكم إيايّ عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟!

- قالوا: دعنا عنك، أمِنْ أهل الجنة هما؟ أم من أهل النار؟

- قال: أما إذا أبيتم، فإني أقول فيهما:

- ما قال نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوم كانوا أعظم جرمـــاً منهما: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٦) [سورة إبراهيم].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرماً منهما: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨) [سورة المائدة].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح: (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَـــكَ وَاتَّبَعَـــكَ الأَرْذَلُـــونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١١٢) إِنْ حِسَـــابُهُمْ إِلاَّ عَلَـــى رَبِّـــي لَـــوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) [سورة الشعراء].

- وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعيـــن وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّـــهِ وَلا

أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَـــهُمُ اللَّـــهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(٣١) [سورة هود].

قال: فألقوا السلاح؛ وقالوا تبرأنا من كل دين كنا عليه؛ وندين الله بدينك؛ فقد آتاك الله فضلاً وحكمة وعلماً، قال: فخرجوا وتركـــوا رأي الخـــوارج، ورجعـــوا إلـــى الجماعة.

ثانياً - مناظرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى مع جهم بن صفوان اللعين:

أسند الموفق المكي في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة) ص ١٢٤ فقال:

إن صفوان بن جهم قصد أبا حنيفة للكلام، فلما لقيه قال له: يا أبا حنيفة! أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك.

فقال أبو حنيفة: الكلام معك عار؛ والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى.

قال: فكيف حكمت علي بما حكمت ولم تسمع كلامي ولم تلقني.

قال: أُشتهر ذلك عنك؛ وظهر عند العامة والخاصة؛ فجاز لي أن أحقق ذلك عليك.

فقال: يا أبا حنيفة! لا أسألك عن شيء إلا عن الإيمان؛ فلا تجيبن عن شيء إلا عن الإيمان.

فقال له: أوَ لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه؟!.

قال: بلى؛ ولكنني شككت في نوع منه.

قال: الشك في الإيمان كفر.

فقال: لايحل لك أن لا تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر؟.

قال: سل.

فقال: أخبرني عن من عرف الله بقلبه؛ وعرف أنه واحد لا شريك له؛ ولا ند؛ وعرفه بصفاته؛ وأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (١١) [سورة الشورى] ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه، أمؤمناً مات أم كافراً؟!.

قال: مات كافراً.

قال: كافر من أهل النار؟ حتى يتكلم بلسانه مع ما عرفه بقلبه؟!. قال: وكيف لا

يكون مؤمناً وقد عرف الله بصفاته؟!.

قال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به، وإن كنت لا تؤمن به؛ ولا تجعله حجة كلمتك بما تكلم به من خالف ملة الإسلام؟!

قال: أؤمن بالقرآن وأجعله حجة.

فقال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بجارحتين: بالقلب واللسان، فقال تبارك وتعالى:

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ(٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(٨٥) [سورة المائدة].

فأوصلهم الجنة بالمعرفة والقول، وجعلهم مؤمنين بالجارحتين: بالقلب واللسان، وقال تعالى:

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٣٥) قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١٣٦) [سورة البقرة].

وقال تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى..) (٢٦) [سورة الفتح].

وقال تعالى: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ..) (٢٤) [سورة الحج].

وقال تعالى: (..إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ..) (١٠) [سورة فاطر].

وقال تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ..) (٢٧) [سورة إبراهيم].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **"قولوا لا إله إلا الله تفلحوا "**

فلم يجعل له الفلاح بالمعرفة دون القول، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

"يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه كذا.

ولم يقل: يخرج من النار من عرف الله؛ وكان في قلبه كذا.

ولو كان لا يُحتاج إليه؛ ويكتفى بالمعرفة؛ لكان من رد الله باللسان وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمناً، ولكان إبليس مؤمناً؛ لأنه عارف بربه؛ يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه:

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ..) (٣٩) [سورة الحجر].

و (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (١٤) [سورة الأعراف].

و (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (١٢) [سورة الأعراف].

ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم؛ وإن أنكروا بلسانهم، قال الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ..) (١٤) [سورة النمل].

فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين؛ مع جحدهم بلسانهم، وقال جل وعز:

(يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (٨٣) [سورة النمل].

وقال تعالى:

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ(٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ..(٣٢) [سورة يونس].

فلم ينفعهم معرفتهم مع إنكارهم.

وقال الله تعالى: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ..(١٤٦) [سورة البقرة]

يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم ينفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره؛ وجحودهم به.

فقال جهم: قد أوقعت في خلدي شيئاً فسأرجع إليك، فقام من عنده ولم يعد إليه([1]).

[1]) تم الانتهاء من إعداد ومراجعة وصفّ كتاب رسائل الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى في العقيدة الإسلامية. ولله الحمد والفضل والمنة.

أخي القارئ لا تتعجل في قراءة الرسائل، وتتدبر الكلام، ولا تتسرع في القراءة، فإن تعسر فهم شيء منها عليك، فلا تصدر أحكامك متسرعاً، فإن في العجلة الندامة، وفي التؤدة السلامة، وفقني الله وإياك للفهم الصحيح، وأسأله سبحانه لي ولك وللمسلمين الوفاة على الإيمان عند انتهاء الأجل بلا محنة. إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وكتبه الراجي عفو ربه الكريم محمد نور بن عبد الحفيظ سويد في الكويت حفظها الله وسائر بلاد المسلمين يوم الأحد الحادي والعشرين من رجب الفرد لعام سبعة عشرة وأربعمئة من بعد الألف من هجرة الحبيب المصطفى؛ خير البرية؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وعلى ذريته وعلى أزواجه وعلى أصحابه وسلم يا رب تسليماً كثيراً كثيراً.

الفهرست